Buḥūth Online
مجلة محكمة تصدر إلكترونيا

وحدة النشر العلمي

بحوث

مجلة علمية محكمة

اللغات وآدابها

العدد 10 أكتوبر 2021 - الجزء 3

ISSN 2735-4822 (Online) \ ISSN 2735-4814 (print)

مجلة بحوث

رئيس التحرير
أ.د/ أميرة أحمد يوسف
أستاذ النحو والصرف-قسم اللغة العربية
عميد كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
جامعة عين شمس

نائب رئيس التحرير
أ.د/ حنان محمد الشاعر
أستاذ تكنولوجيا التعليم-قسم تكنولوجيا التعليم والمعلومات
وكيل كلية البنات للدراسات العليا والبحوث
جامعة عين شمس

مدير التحرير
د. سارة محمد أمين إسماعيل
مدرس تكنولوجيا التعليم
كلية البنات جامعة عين شمس

سكرتارية التحرير:
م/ هبه ممدوح مختار محمد
معيدة بقسم الفلسفة
مسئول الموقع الالكتروني:
م.م/ نجوى عزام أحمد فهمي
مدرس مساعد تكنولوجيا التعليم
مسئول التنسيق:
م/ دعاء فرج غريب عبد الباقي
معيدة تكنولوجيا التعليم

مجلة "بحوث" دورية علمية محكمة، تصدر عن كلية البنات للآداب والعلوم والتربية بجامعة عين شمس حيث تعنى بنشر الإنتاج العلمي المتميز للباحثين.

مجالات النشر: اللغات وآدابها (اللغة العربية – اللغة الإنجليزية – اللغة الفرنسية-اللغة الألمانية-اللغات الشرقية) العلوم الاجتماعية والإنسانية (علم الاجتماع – علم النفس – الفلسفة – التاريخ – الجغرافيا).
العلوم التربوية (أصول التربية – المناهج وطرق التدريس-علم النفس التعليمي – تكنولوجيا التعليم –تربية الطفل)

التواصل عبر الإيميل الرسمي للمجلة:
buhuth.journals@women.asu.edu.eg

يتم استقبال الأبحاث الجديدة عبر الموقع الإلكتروني للمجلة:
https://buhuth.journals.ekb.eg/

- ❖ حصول المجلة على 7 درجات (أعلى درجة في تقييم المجلس الأعلى للجامعات قطاع الدراسات التربوية.
- ❖ حصول المجلة على 7 درجات (أعلى درجة في تقييم المجلس الأعلى للجامعات قطاع الدراسات الأدبية.

تم فهرسة المجلة وتصنيفها في:
دار المنظومة– شمعة

مزج المتناقضات في القصيدة الوطنية عند الشاعر رشيد سليم الخوري

هايدي جمال محمد محمود الشربيني
باحث دكتوراه- قسم اللغة العربية
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية- جامعة عين شمس- مصر
haidyhaidy003@gmail.com

أ.د. حسن أحمد البنداري
أستاذ البلاغة والنقد الأدبي
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية،
جامعة عين شمس، مصر
dr_hassan5@yahoo.com

د. زينب عبد الكريم أحمد
مدرس البلاغة والنقد الأدبي
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية،
جامعة عين شمس، مصر
Zeinabgado@yahoo.com

المستخلص:

يعنى هذا البحث بدراسة ظاهرة "مزج المتناقضات" في قصائد الشاعر رشيد سليم الخوري التي عبر فيها عن الوطن وقضاياه، إذ احتوت قصائده على بعدين أساسيين انعكس من خلالهما الاتجاه الوطني هما : شعر الوطنية والقومية، وشعر الحنين، فنجده يبرز في قصائده ما تعرض له الوطن العربي من استعمار وحروب ومؤامرات من قبل دول الغرب؛ حيث يمزج الشاعر بين الألفاظ والتراكيب والصور المتناقضة؛ لينفس عن مشاعره الحزينة، ويعبر عما يدور داخل نفسه من مشاعر وأحاسيس متباينة متداخلة؛ نتيجة مايحدث حوله من أحداث مؤسفة تتعلق بالوطن الحبيب؛ فيكشف للمتلقي الصراعات القائمة داخله، وحالة التشتت النفسي التي يمر بها؛ ومن ثم فقد كان مزج المتناقضات وسيلة بلاغية؛ مكنت الشاعر من تحقيق إضافة نوعية تميز إنتاجه الشعري؛ بما يظهر قدرته الفنية، ويسهم في إضفاء صفتي الحيوية والجمال على نصه الشعري. وسيتناول هذا البحث ثلاثة مظاهر لهذه الظاهرة التي وظفها الشاعر للتعبير عن قضايا الوطن ومشاعره تجاهه:المظهر الأول: التضاد، المظهر الثاني: المقابلة، المظهر الثالث: مقابلة الصور.

الكلمات الدالة: ظاهرة مزج المتناقضات- الوطن - الشاعر رشيد سليم الخوري.

مقدمة

احتل الوطن مكانة كبيرة في الشعر العربي منذ الجاهلية حتى الآن، وقد حظي باهتمام العديد من الشعراء الذين تمكنوا من التعبير عما يجول في وجدانهم تجاه أوطانهم، واستطاعوا أن يجسدوا المشكلات والقضايا السياسية والاجتماعية التي تحيط بها؛ فالشعر العربي كان -دائمًا- مرآة تنعكس خلالها صورة وجدان الشاعر العربي؛ المحمل بالأمنيات والأحلام والعواطف بشتى أشكالها؛ من حنين وشوق وثورة وغضب وحب؛ وقد استطاع الشعراء العرب تجسيد تلك المشاعر الجياشة تجاه الوطن؛ عن طريق توظيف المعاني القوية داخل قصائدهم، وعبروا عن حبهم لهذا الوطن تعبيرًا وفيًّا صادقًا؛ يترك أثره القوي داخل النفوس، فموضوع "حب الوطن قد نال تجسيدًا شعريًا في الإنتاج الفني الأدبي لكافة الشعوب في كافة الأزمنة" (طنوس، 1975م، ص 4).

وقد تطور مفهوم الوطن حديثًا، و" اختلف عما كان عليه سابقًا؛ نظرًا لانقسام الكيانات السياسية القديمة إلى دول مختلفة، ونشوء نزاعات سياسية متباينة بين مواطنيها؛ فأصحاب النزعة الإقليمية يعتبرون وطنهم هو الوطن المحلي، وأصحاب النزعة القومية يرون الوطن العربي شاملاً للدول العربية كلها " (مريدن،1966م، ص 65).

كان الشاعر رشيد سليم الخوري ذا نزعة وطنية قومية؛ فهو لم ينظر إلى الأحداث داخل الوطن العربي من جانب محلي إقليمي فحسب؛ بل نظر إليها نظرة أعم وأشمل وأوسع، مؤمنًا أن تلك الأحداث كلها وقعت على أرض عربية؛ لذلك كانت قصائده الوطنية بمثابة صرخة ضد العدو الأجنبي الذي طغى وتجبر داخل البلدان العربية جميعها. وقد كان الخوري من أهم الشعراء القوميين الذين كان الوطن بالنسبة إليهم هو "الوطن العربي الأكبر"؛ الذي لا تفرق أجزاءه حدود جغرافية، ولا يباعد المستعمر بين أبنائه؛ فهم إذا حنوا إلى وطنهم وأحبوه، وتمنوا له الخير؛ فإنما يتمنون ذلك للأوطان العربية كلها، وهم إن كانوا ينتمون إلى وطن محلي إقليمي محدد؛ فقلوبهم ومحبتهم للعرب أجمعين". (مريدن، 1966م، ص70) وهكذا نجد أن عاطفة الشاعر الوطنية الثائرة" لم تقتصر على بلده لبنان؛ فكل قطر عربي هو وطنه؛ يتغنى به، ويشيد بمحامده، ويستنهضه للحرية؛ فهو من المؤمنين بأن العروبة وحدة لا تتجزأ". (الناعوري، 1966م، ص 481).

وقد وظف الشاعر ظاهرة مزج المتناقضات في قصائده الوطنية بهدف التعبير عن قضايا الوطن، وإيقاظ الوعي القومي، وإثارة الشعور الوطني داخل أبناء وطنه، ودفعهم إلى الفخر ببلادهم وتمجيدها، وإلى السعي نحو محاربة العدو، ونيل الاستقلال، كما عبر - بواسطة تلك الظاهرة الفنية- عن مشاعر الغربة والحنين إلى هذا الوطن؛ فأظهرت كلماته معاني حب الوطن وتقديسه، وبرزت فيها الضغوط الداخلية والخارجية التي تعرض لها الشاعر، والأزمات النفسية التي واجهته؛ فقد كانت بمثابة تنفيس عما يدور داخل نفسه من صراعات وأحاسيس متداخلة ومختلطة، ولعبت دورًا كبيرًا في إيصال الأفكار التي تجول في عقله إلى المتلقي بطريقة مؤثرة، وكشفت حالة التشتت النفسي التي يمر بها الشاعر جراء مايحدث حوله من أحداث ومواقف تمس الوطن الحبيب.

وتعد ظاهرة مزج المتناقضات من الظواهر المتأصلة في الشعر العربي؛ فالقصيدة العربية عُرفت بهذه السمة التي انتشرت بين ثنايا النصوص الشعرية؛ لتساهم في خلق الإبداع في النص، وتحقق جماليته، كما أنها تنقل للمتلقي شعورًا يوجه انتباهه نحو الفكرة التي تحتوي عليها التجربة الشعرية المقدمة إليه؛ فيزيد استيعابه لها ويتقبلها؛ "فأسلوب المقابلة والتضاد من أهم عناصر الأداء الشعري، ومن أهم مقوماته

التعبيرية؛ لأنه يساعد الشاعر على تقديم عمله جماليًّا ودلاليًّا بشكل أعمق وأبلغ تأثيرًا" (الوتوات، يونيو2015م، ص259)؛ حيث إن الجمع بين الألفاظ والتراكيب والصور المتناقضة داخل القصيدة؛ "يظهرها في معرض التآلف وهي متخالفة، ويربط بينها وهي متباعدة؛ فتزداد بذلك الفكرة وضوحًا، ويستجيب لها السامع". (علام، 1997م، ص170)

وقد عمد العديد من الشعراء المحدثين إلى "مزج المتناقضات في إطار تعبيري واحد؛ بحيث تمتزج المتناقضات ببعضها امتزاجًا عضويًّا؛ بسبب نفسي يتصل بالعالم الباطني لشخصية الشاعر المؤدي لهذا الامتزاج" (البنداري، 2017م، ص71) ؛ فيمتزج الشيء ونقيضه، ونتيجة هذا الامتزاج "يستمد منه بعض خصائصه ويضيف عليه بعض سماته؛ تعبيرًا عن الحالات النفسية والأحاسيس الغامضة المبهمة التي تتعانق فيها المشاعر المتضادة وتتفاعل" (زايد، 2002م، ص80).

وسوف يتناول هذا البحث ثلاثة مظاهر للمزج بين المتناقضات في شعر رشيد سليم الخوري هي:

- المظهر الأول: التضاد.
- المظهر الثاني: المقابلة.
- المظهر الثالث: مقابلة الصور.

المظهر الأول: التضاد:

وجد البلاغيون أن توظيف التضاد داخل النص الشعري يعد مطلبًا فنيًّا وغاية جمالية؛ حيث إن الجمع بين المتناقضات يؤثر في المعنى؛ حيث " يضفي جمالاً خاصًّا في التعبير، ويوفر تناسبًا فنيًّا بين أجزائه، وتناسقًا وانسجامًا وارتباطًا بين الألفاظ والعبارات والصور" (الوتوات، 2015م، ص 261).

ووظيفة التضاد ليست مقتصرة على كونه محسنًا بلاغيًّا فحسب؛ بل هو "داخل في صميم الصورة الشعرية، والأكثر من ذلك أنه أساس في فلسفة الشعر نفسه"(أبو غالي، 1995م، ص21) ؛ فهو يمكِّن الشاعر من تشكيل الصورة الشعرية، ورسم ملامح المعنى الذي ينبثق من القصيدة؛ فقد تكون علاقة التضاد "أقرب إلى الذهن من أي علاقة أخرى؛ فمجرد ذكر معنى من المعاني يستدعي ضده إلى الذهن؛ فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني" (أنيس، 2003م، ص179)

والضد في اللغة هو "كل شيء ضاد شيئًا ليغلبه، والسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة، والليل ضد النهار؛ إذا جاء هذا ذهب ذلك". (ابن منظور، د.ت، صص263- 264) . وفي الاصطلاح يعني "الجمع بين الضدين أو المعنيين المتقابلين في الجملة؛ والضدان إما اسمان وإما فعلان، وإما حرفان، وإما نوعان مختلفان". (وهبه، المهندس، 1984م، ص232).

وقد ورد مصطلح التضاد داخل كتب "التراث البلاغي" (العسكري، د.ت، ص316) تحت مسميات عدة؛ مثل الطباق والمطابقة، وتلك المصطلحات التي دلت على تناقض الألفاظ؛ حيث نجد أن النقاد والبلاغيين العرب قد درسوا ظاهرة التضاد في نصوص الإبداع الشعري، ومع أن أساليب تناولهم له قد تعددت وتنوعت؛ لكنها تنطلق من معنى واحد؛ هو التضاد التعبيري". (البنداري، 2017م، ص 206)

وقدعني رشيد سليم الخوري بتوظيف ظاهرة التضاد داخل أشعاره الوطنية؛ لما لها من قدرة على إضفاء صفة الجمال على النص؛ فقد كانت وسيلة تمكن بواسطتها من تحقيق إضافة نوعية تميز إنتاجه

الشعري، إضافة إلى قدرتها على الكشف عما يجول داخله من أحاسيس وانفعالات دفينة؛ فالألفاظ المتضادة تنتج عن "الحالات النفسية والأحاسيس الغامضة المبهمة التي تتعالق فيها المشاعر المتضادة وتتفاعل" (زايد،2002م، ص 80) ، كما أن المزج بين المتضادات قد أظهر الوعي الفني للشاعر؛ من حيث إدراكه تخطي تلك الظاهرة حدود الزينة اللفظية؛ إلى مشاركة المتلقي مايجول داخل نفسه من نزاعات وصراعات؛ لذلك نجد أن العناصر المتضادة "تكشف عن جدلية التباين في النص،وتدل على تباين الواقع، ومن جهة أخرى فهي تؤثر في قدرة التلقي لدى متلقي النص من حيث إثارة إقباله عليه" (الخوري ، 1986م، ص 64)؛ فنجد أن أسلوب التضاد عند الشاعر يمكنه من إقامة العديد من العلاقات المتآلفة داخل الأبيات؛ فقد عمل على التقريب بين الشاعر وبين المتلقي من جهة، وبين النص وبين المتلقي من جهة أخرى.

وقد وظف الشاعر التضاد بنوعيه الإيجابي والسلبي؛ ويقصد بالتضاد الإيجابي "الجمع بين كلمتين متضادتين موجبتين دون أداة نفي، أو هو ذكر الشيء وضده"[1]، بينما عمد في التضاد السلبي إلى "الجمع بين كلمتين متفقتين في المعنى وبينهما أداة نفي". (عبد الغني، د.ت، ص175).

مثلما نجد ذلك في هذه الأبيات التي يظهر بها عشق الشاعر لوطنه وحنينه إليه ؛ حيث يقول: (الخوري ، 1961م، قصيدة "وطني"، ص623)

وَطَنِـــــي لُبْنَـــــانُ يَــــا نجْـــوَايَ — فِـــــــي قُرْبِـــــــــي وَبُعْـــــــدِي

أيُّ خلّـــــــدٍ شَــــــاغِلِي عَنْـــــكَ — وَأَنْـــــــتَ الْخُلْـــــــدُ عِنْـــــدِي

مزج الشاعر في الأبيات السابقة بين لفظتي "قربي" و"بعدي" في سياق حب الوطن الذي نشأ فيه؛ فقد كان هو موطن الحديث والأسرار منذ الطفولة حتى الشباب، وقد استغل الشاعر طاقة التضاد الإيجابي؛ ليبرز الحب القوي الذي يكنه لهذا الوطن؛ فهو الصاحب المقرب الذي يخصه بالحديث، ويعبر له عما يحمله قلبه من مشاعر دفينة حتى بعد أن تركه وابتعد عنه؛ فهو لم ينشغل عنه، ولم يتخذ له خليلاً غيره، ولم يفارق عقله وقلبه وحديثه؛ سواء أكان قريبًا أم بعيدًا.

مما سبق يتبين لنا أنه قد وظف ثنائية التضاد بألفاظ حملت دلالة البعد المكاني، وعمدت إلى تأكيد استمرارية عشقه لوطنه رغم البعد؛ فقد ظل الصديق الذي يناجيه، ويتسامر معه حتى يخفف عنه ألم الشعور بالوحدة والغربة.

وفي إطار حب الوطن، والحنين إليه يقول الشاعر مستخدمًا ظاهرة التضاد: (الخوري، 1961م، قصيدة "كقلب طفل"، ص684).

كَـــأَنَّ سَـــمَاءَ لُبْنَـــانَ كَسَـــتْهُ الْمَحَاسِـنُ — قَبْـــــــلَ أَنْ تُكْسَـــــــى الْعُيُوبَـــــا

يُطِـــلُّ عَلَيْـــكَ فَجْـــرُ الْأَرْزِ مِنْـــهُ — سَـــــنى وَنَـــــدى وهَيْمَنَـــــةً وَطِيبـــا

إن التضاد الذي ورد بين لفظتي"المحاسن"و"العيوب" أظهر مشاعر الفخر الشديد التي يكنها الشاعر لوطنه، والحب الذي يغمر قلبه تجاهه؛ فهو يعشقه ويرى جماله الخفي وراء ما يحيط به من دمار وهلاك وحروب؛ حيث ظل هذا الجمال طاغيًا على أزماته وعيوبه.

والتضاد الإيجابي هنا جاء بغرض مدح لبنان، وإظهار طبيعتها الخلابة، وما بها من جمال ومحاسن؛ فبرغم ما أصابها من انطفاء بسبب تعاقب الاحتلال عليها، وتوالي المصائب والكوارث على أرضها؛ فإن ضوء القمر اللامع سيظل ينبعث من سمائها، وستستمر الرائحة الطيبة المليئة بالخير والحب تفوح من أرضها.

كما يصف الشاعر – في صورة مركبة- عصر السلطان العثماني عبد الحميد الثاني في أثناء خضوع العرب للحكم العثماني الجائر، قائلاً : (الخوري، 1961م، قصيدة "الحرب"، ص84).

وَلَــوْ ذَكَّــرَتَ عَبْــدَ الحمِيــدِ لأَدْرَكَــتَ ... مَثَــارَ الشــقَا لَــوْ يُسْــتَطَاع التــذَكرُ

يكَــادُ يَفِــرُّ الطِّــرْسُ ذُعْــرًا لِــذكرِه ... ويُحْجِــمُ فِــي الكــفِّ اليَــرَاعُ الْمُسَــطّرُ

إِذَا لاحَ لاحَ الْمَــوْتُ فِيــهِ مُجَسَّــمًا ... وإِنْ غَــابَ يســتَدْنِي أَذَاهُ التصَــورُ

فَيَبْلُــغُ مِــنْ أَجْسَــامِنَا وَهُــوَ ظَــاهِرٌ ... وَيَبْلُــغُ مِــنْ أَرْوَاحِنَــا وَهُــوَ مُضْــمَرُ

فقد تمكن الشاعر عن طريق التضاد الذي ورد بين لفظتي "لاح" و"غاب"، وبين لفظتي "ظاهر" و"مضمر" أن ينقل للمتلقي صورة الموت الذي كان يحيط بأبناء الوطن العربي تحت وطأة حكم السلطان عبد الحميد؛ مجسدًاعصر القهر والظلم، وحالة الخوف الشديد التي سيطرت على أبناء الأمة العربية وقتها؛ بعدما تملك الظلم والاستبداد من الأجساد والأرواح؛ حتى كاد أن يقضي عليهم؛ حتى إنهم يشعرون بالشقاء ويصابون بالهلع والذعر عند ذكر اسمه؛ فمزج المتناقضات هنا قد صور مشهد الألم الذي عاشه أبناء الوطن العربي في ذلك الوقت؛ حيث تمكن الشاعر بواسطة الثنائيات المتضادة أن يقرن هذا السلطان الظالم بالموت؛ فقد أصبح الخوف منه والخوف من الموت سواء عند أبناء الأمة العربية؛ مما يدل على القهر الشديد الذي تعرضت له هذه الأمة في عصره؛ فالخوف من الموت من أعظم المخاوف التي تنتاب الإنسان.

لقد استغل الشاعر التضاد الإيجابي هنا حتى يفصح عن مشاعر الغضب الكامنة داخله جراء مايحدث حوله من أحداث مؤلمة في الوطن العربي؛ فاستطاع أن يثير مشاعر المتلقي نحو التجربة الشعرية المقدمة إليه؛ بعرض صور تمتزج فيها مشاعر السخط مع مشاعر الحزن في آنٍ واحد؛ بسبب هذا الحكم الطاغي.

وثمة نموذج شعري آخر يستخدم فيه الشاعر ظاهرة التضاد من أجل تقديم صورة وصفية للاحتلال الفرنسي الغادر لوطنه لبنان؛ حيث يقول: (الخوري، 1961، قصيدة "مآسدٌ لا مَراع"، ص275).

وَكِــدْتِ لِأَهْلِهَــا بِالسَّــيْفِ طَــوْرًا ... وَطَــوْرًا بِالسِّــعَايَةِ وَالخِــدَاعِ

فَكُنْــتِ لَئِيمَــةً حَرْبًــا وسِــلْمًا ... كَلُؤمِــكِ فِــي الغَرَائِــرِ والطِّبَــاعِ

ظهر التضاد هنا في سياق التهكم والغضب من تصرفات هؤلاء الأعداء؛ فقد أورد الشاعر التضاد بين لفظتي "حربًا" و"سلمًا"؛ ليبرز للمتلقي مدى قبح هؤلاء الأعداء الذين كانت صفة اللؤم مستوطنة داخلهم في السلم والحرب؛ حيث حمل التضاد دلالة الخبث والمكر اللذين اشتهرت بهما فرنسا؛ حيث

استخدمت استراتيجية الخداع، والتفوه بالعهود الكاذبة؛ إذ وعدت شعب لبنان بالحماية في بداية الأمر؛ حتى تمكنت من أرضه، وأصبح أسلوب العسف والقهر والمعاملة بالسيف هو السائد، وقد أفاد التضاد هنا معنى العموم والشمول؛ ففرنسا في كلتا الحالتين تتصف باللؤم والغدر.

كما استطاع الشاعر بواسطة التضاد الإيجابي أن يبرز رؤيته الصائبة لهؤلاء الأعداء، وأن يظهر مشاعر الكره التي يكنها لهم بعدما كانوا مصدر ثقة لأبناء وطنه في بداية الأمر؛ ولكن تبدلت مشاعر الثقة والحب بعدما تجرعوا الغدر والخيانة؛ فتمكن التضاد من التأثير في المتلقي؛ لما فيه من قدرة على تعميق الدلالة، وتوضيح المعنى بإيراد الكلمة ونقيضها؛ مما يجعل الصورة أكثر انكشافًا ووضوحًا.

وعلى العكس من النص السابق؛ فقد ورد التضاد هنا بين لفظتي "السلم" و"الحرب" في سياق الفخر والتعظيم؛ حيث نجد الشاعر يطلق صيحة غضب داخل أبياته بعد صدور وعد بلفور، متوعدًا هؤلاء الأعداء المستعمرين بمستقبل محمل بالسواد -بعدما اعتدوا على حق الفلسطينيين في العيش بحرية داخل وطنهم-معظمًا من قوة رجال الوطن العربي الذين يثورون على الظلم في كل مكان، ويدافعون عن الأراضي العربية بكل قوة وشجاعة؛ حيث يقول: (الخوري، 1961م، قصيدة "جزى الله"، ص307).

لَنَــا كُــلَّ يَــوْمٍ غَضْــبَةٌ مُضَــرِيَّةٌ   تُبَــرْهِنُ أَنَّ الْحَــقَّ كَــاللَّهِ أَكْبَــرُ
نُخَبِّــئُ فِــي أَطْمَارِنَــا كُــلَّ ضَــيْغَمٍ   يَعْــرِّفُكُمْ عَــنْ نَفْسِــهِ حِــينَ يَــزْأَرُ
عَجِيبَــةُ عَــدٍّ فَهُــوَ فِــي السَّــلَمِ وَاحِــدٌ   وَلَكِنَّــهُ فِــي سَــاحَةِ الْحَــرْبِ عَسْــكَرُ

لقد أفاد التضاد الإيجابي هنا معنى التهديد والوعيد لكل عدو أجنبي يظن الجبن والضعف في نفوس رجال العرب؛ إذ إنهم قادرون على المواجهة والصمود والانتصار داخل ساحات الحرب؛ فقد أظهر التضاد تبدل حال هؤلاء الرجال مابين السلم والحرب؛ فعلى الرغم من حالة الصبر التي يلتزمون بها في وقت السلم؛ فإن البسالة والشجاعة ستظهر بانتهاء ساعة الصبر؛ فيبهرون العدو عند قيام الحرب بالعدة والعتاد القوي.

ومن ثم نرى أن الشاعر قد استغل التضاد؛ ليبرز للمتلقي رؤيته الصائبة لرجال الوطن العربي القادرين على قتل الاستبداد والقهر المحيط ببلادهم العربية، وليجعله شريكًا له في حالة الغضب التي تنتابه وتسيطر عليه بسبب وقوع فلسطين تحت وطأة الاحتلال اليهودي الظالم.

وقد تولدت الدلالة الإيحائية في الأبيات عن طريق توظيف الشاعر لبعض الألفاظ التي توحي بقوة أبناء الوطن العربي وشجاعتهم، وقدرتهم على الصمود أمام هؤلاء الأعداء، واسترداد الحقوق المسلوبة منهم؛ مثل لفظة "يزأر" التي رمزت لقوة هؤلاء الأبناء وشجاعتهم، ولفظة "ضيغم" التي نعت بها أبناء الوطن العربي؛ فتلك الصورة الفنية البليغة أعطت إيحاءً بقوة هؤلاء الثوار، وقدرتهم على خوض الحرب دون تراجع أو خوف؛ فقد ناسبت الألفاظ الموحية المعنى الذي يسعى الشاعر إلى بلورته؛ مما يعكس قدرته على انتقاء الألفاظ المعبرة.

وعلى النقيض من الصورة السابقة؛ نجد أن الشاعر هنا قد وظف المزج بين لفظتي "السلم" و"القتال" في سياق الحسرة والحزن؛ بسبب تخاذل رجال الوطن العربي أمام الأعداء؛ حيث قال: (الخوري، 1961م، قصيدة "عدنان المالكي"، ص728).

رَبِّ أرْشِــــــدْ فِــــي بِـــــلَادِي فِئَــــةً   أَمْعَنْـــتْ فِـــي مُهِمَّـــةِ البُطْـــلِ ضَـــلالا

هُـــمْ فِـــي السَّـــلْمِ ضِـــعَافٌ عُـــزَّلٌ   وَهَمْـــو أضْـــعَفُ لَـــوْ شِـــئْنَا القِتَـــالا

يَــا بَنِــي أُمِّــي اسْـمَعُوا النصْـحَ وعُــوا   لَا تَزِيــدُوا جَمْــرَةَ الغَـــيْظِ اشْــتِعالا

مَـــنْ يَثِـــقْ بِالسَـــبْقِ فِـــي الْحَلْبَـــةِ لَا   يَتَخَطَّـــفُ قَصَـــبَ السَـــبْقِ اغتِيَـــالا

قَـــدْ مَشَـــيْنَا للمعَـــــالي قُـــدُمًا   مَـــنْ يُحَـــاوِلُ رَدَّنَـــا يَبْـــغِ المُحَـــالا

إن المزج بين المتناقضات الذي أورده الشاعر في هذه الأبيات قد مكنه من تجسيد الحالة الذاتية التي يمر بها؛ حيث أظهر التضاد الامتزاج الشعوري القائم داخل نفس الشاعر بين مشاعر الخوف على الوطن وبين مشاعر الغيظ من تهاون رجال وطنه في حقهم المسلوب؛ تلك المشاعر التي اختلطت بمشاعر الثقة في قدرة رجال هذا الوطن على مقاومة الأعداء؛ ومن ثم فقد عكس هذا الامتزاج الشعوري حالة الاضطراب النفسي التي يعيش فيها الشاعر، كما مكن المتلقي من التوغل داخل نفس الشاعر؛ بل جعله أيضًا يشارك الشاعر وجدانيًّا فيما يمر به من مشاعر حزينة.

ومن ثم يمكن القول إن الثنائيات المتضادة كشفت عن المعركة النفسية التي يخوضها الشاعر داخله من أجل رفعة شأن الوطن الحبيب، وقد عبر الشاعر عن هذا الصراع بالمزج بين لفظتي "السلم" و"القتال" في البيت الثاني؛ ليبرز للمتلقي مشاعر الخوف على الوطن التي تنتابه بسبب حالة الضعف الشديد التي يميل إليها رجال هذا الوطن في حالتي السلم والحرب؛ فنجده يحاول أن يستنهض الهمم من أجل مقاومة الاحتلال الغاصب؛ عن طريق بث الثقة داخل أنفسهم، وعن طريق تنبيههم للقوة الداخلية التي يمتلكونها.

وقد أكد الشاعر ضعف هؤلاء الأبناء عن طريق توظيف ظاهرة التكرار في الأبيات-حيث تكررت لفظة "الضعف" في البيت الثاني- ليؤكد المعنى الذي يريد إيصاله إلى المتلقي؛ ومن ثم تعاون تكرار اللفظة الموحية مع التضاد في رسم حالة الاستسلام التي يعيش فيها أبناء الوطن العربي.

ويعمد الشاعر في البيت الأخير إلى المزج بين ألفاظ متضادة دلت على الحركة؛ هي "مشينا" و"ردَّنا"؛ ليظهر مشاعر الثقة التي يكنها لرجال وطنه -حيث إنهم في رأيه قادرون على خوض الحرب ضد هؤلاء الأعداء-وليكشف عن الصعوبة التي سوف يجدها الأعداء أمام صمود رجال الوطن إذا أفاقوا، وبدأوا في السير نحو طريق العزة والمعالي والتقدم؛ مما يدل على القوة الكامنة التي يحملها هؤلاء الرجال داخلهم؛ ومن ثم نجد أن الثنائيات المتضادة قد خدمت التجربة الشعرية، وولدت فاعلية شعورية تنبض بها الأبيات.

وثمة أبيات أخرى يوظف فيها الشاعر ظاهرة المزج بين المتضادات؛ ليعبر عن فتاة فلسطينية ضربت أروع الأمثلة في الجهاد ضد الإنجليز أثناء انتدابهم على الأردن عام 1921م؛ حيث راحت الفتاة ضحية للعدوان البريطاني وقتذاك...حيث يقول: (الخوري، 1961م، قصيدة "منبر العمل"، ص706).

مَاتَــتْ فَعَاشَــتْ رَجَــاء فِــي النفــوسِ كَمَــا   عَــاشَ اســمُهَا الحُلْــوُ فِــي الأفــواهِ وَالمُقَــلِ

وَهَــلْ سَــمِعْتَ بِهَــا فِــي الشــامِ حِــينَ دَعَــا   دَاعِـــي الجِهَـــادِ فَكَانَـــتْ أَرْوَعَ الْمُثُـــلِ

فقد ورد التضاد الإيجابي بين لفظتي"ماتت" و"عاشت" في سياق الحزن والجزع على فقدان تلك الفتاة الفلسطينية؛ حيث نرى أن ثنائية التضاد نفت موت هذه الشهيدة الفلسطينية داخل النفوس والقلوب؛ على الرغم من مفارقة الروح لجسدها؛ إذ ظلت تضحيتها في سبيل الوطن سيرة عطرة تتداولها الأفواه، وتتغنى بها؛ فجاء التضاد هنا حاملاً معاني الفخر والاعتزاز التي يكنها الشاعر لتلك الفتاة، وقد أبرز الشاعر معنى خلود تلك الفتاة داخل القلوب عن طريق دخول الفاء التي أفادت التعقيب على الفعل "عاشت"؛ فسيرة جهادها من أجل الوطن لم ترحل، ولم تمت معها، ولم ينسها الناس.

وقد عزز الشاعر المعنى الذي يقصده عن طريق توظيف ظاهرة التكرار الفني؛ حيث تكرر الفعل الماضي "عاش" مرتين في البيت الأول؛ ليؤكد خلود تلك الشهيدة في القلوب والنفوس، وخلود اسمها الذي يتردد بشكل دائم في الأفواه؛ ذلك الاسم الذي نعته الشاعر بصفة الحلاوة؛ دلالة على حبه الشديد لها، وإعجابة القوي بجهادها، واستمتاعه بترديد اسمها بصفة مستمرة.

من ثم نجد أن المزج بين المتضادات قد أسهم في إكساب النص الحيوية والثراء؛ بما يعمل على إثارة المتلقي وجذبه نحو التجربة الشعرية التي يعبر الشاعر عنها داخل أبياته.

ويواصل الشاعر توظيفه لظاهرة التضاد في أبياته؛ حيث يقول: (الخوري، 1961م، قصيدة "عيد استقلال لبنان"، ص254).

لَهَفْـيِ علـى بَيْـرُوتَ تُصْـبِحُ مَسْـرَحًا   لِمَغَـــــارِمِ الغَـــــازِي وَعُهْــــرِ بَنَاتِــــهِ!

فَـــرْدَوْسُ أَمْــلَاكٍ يَضَـــمُّ أَبَالِسًـــا   وَيُعَــــذَّبُ الْأَبْــــرَارُ فِــــي جَنَّاتِــــهِ

قَـــالُوا أَتَعْشَـــقُهُ وهَـــذِي حَالُـــهُ   يَاحَبَّـــذَا وطَنِــــي عَلــــى حَالَاتِــــهِ!

الْعَـــيْشُ حُلْـــوٌ فِـــي سَـــبِيلِ رُقِيِّــهِ   والْمَـــوْتُ أَحْلَـــى فِـــي سَـــبِيلِ حَياتِـــهِ

تمكن الشاعر بواسطة ظاهرة التضاد أن يجسد صورة كل أبناء وطنه، وكذلك صورة العدو الغاصب؛ تلك الصور التي عبرت عن الغضب الكامن داخله جراء الأفعال المتوحشة التي يرتكبها هؤلاء الأعداء في حق الشعب اللبناني وأرضه؛ لذلك نجده ينعتهم بصفة ملتصقة بهم هي "أبالسًا"؛ التي تعكس معاني الخبث، والمكر، والدهاء، والشر؛ في مقابل لفظة "الأبرار" التي نعت بها سكان وطنه؛ بما في اللفظة من معاني الخير والإحسان والصدق والإصلاح؛ ليبرز الفرق بينهما، ويرسم صورة كل منهما أمام أعين المتلقي، مما يعكس الصراع الداخلي الذي يعيشه الشاعر نتيجة الأوضاع المؤسفة التي تمر بها بلده، مؤكدًا ذلك الشعور بواسطة استخدام لفظة "لهفي"؛ تلك اللفظة التي توحي بالحسرة واللوعة المتوغلتين داخل نفسه.

ثم ينهي الشاعر أبياته بلفظتين متضادتين هما: "العيش" و"الموت"؛ ليعبر عن الحب الشديد الذي يكنه لهذا الوطن مهما كانت ظروفه، ومهما بلغ من التأخر؛ فهو يعشقه ويحبه على علاته؛ فالعيش حلو في سبيل رفعة شأنه ورقيه، والتضحية بالنفس أمر هين في مقابل حياة الوطن واستقلاله. وقد أكد الشاعر حبه لوطنه عن طريق استخدام أسلوب المدح بلفظة "حبذا" التي وردت في البيت الخامس؛ بغرض إظهار تمسكه بهذا الوطن على الرغم من حالة الانكسار المسيطرة عليه.

ومن ثم كانت الثنائيات المتضادة التي جاءت بشكل تعاقبي قادرة على بث الحيوية داخل الأبيات، كما كانت قادرة على نقل التجربة الشعرية إلى المتلقي في صورة مثيرة، وتقريبه وجدانيًّا مع الوضع الحزين الذي تمر به لبنان.

وتتجلى ظاهرة التضاد في أبيات أخرى للشاعر؛ حيث يقول: (الخوري، 1961م، قصيدة "عيد الفطر"، ص279).

صِـيَامًا إِلَـى أَنْ يُفْطِـرَ السَّـيْفُ بِالـدَّمِ وَصَـمْتًا إِلَـى أَنْ يَصْـدَحَ الْحَـقُّ يَـا فَمِـي

أَفِطْـرٌ وَأَحْـرَارُ الحِمَـى فِـي مَجَاعَـةٍ؟ وَعِيـدٌ وأَبطَـالُ الْجِهَـادِ بِمَـأْتَمِ!

لقد كان التضاد الإيجابي هنا بمثابة صرخة من أجل الثورة على الأعداء الذين احتلوا البلاد العربية، وأشاعوا فيها الخراب والدماء والظلم؛ حيث وظف الشاعر الثنائيات المتضادة "صيامًا"، و"يفطر"، و"صمتًا" و"يصدح"؛ ليعلن للمتلقي عن ثورة النفس المتأججة داخله جراء مايحدث حوله من أحداث أليمة تمس وطنه الحبيب؛ تلك الثورة التي لاتخمد ولا تهدأ إلا بعد أن ترتفع أصوات الحق من الأفواه، وينال السيف من أجساد هؤلاء الأعداء حتى يقضي عليهم، بعدما نشروا المجاعات داخل البلاد العربية، واستشهد على أيديهم آلاف الأبطال دفاعًا عن الوطن؛ فلابد من قيام الثورة العربية من أجل الثأر لدماء هؤلاء الشهداء، وإعلاء شعار الوحدة والعروبة.

كما ورد التضاد بين لفظتي "عيد" و"مأتم"؛ ليعكس مشاعر الحزن على حال الوطن العربي؛ تلك المشاعر التي امتزجت بمشاعر الحب الشديد التي يكنها الشاعر لوطنه، وثورته الدائمة من أجل تحرير أرضه، مستنكرًا ورافضًا إقامة أي احتفال بأي عيد إلا بعد سقوط الظلم عن الوطن العربي، وتمكن المجاهدين من تحرير الأراضي العربية.

وقد أسهمت الثنائيات المتضادة في إيصال المعنى الشعري إلى ذهن المتلقي في صورة واضحة وسلسة؛ مما جعله أكثر تأثيرًا في نفسه.

وهناك نموذج شعري آخر يتضح فيه استخدام الشاعر لظاهرة التضاد مشخصًا فلسطين كأنها شخص ماثل أمامه يناديه، ويحدثه، ويشكو إليه الحزن الذي يشعر به، حيث يقول: (الخوري، 1961م، قصيدة "أو ما في العُرب"، ص321)[1]

يَـــا فِلَسْـــطِينُ انـــدبِينَا مَعَهُـــم فَلَكُـــمْ مَيِّـــتٍ وَكَـــمْ حَـــيٍّ شَـــهِيدِ

نَالَنَـــا فِـــي العـــيْشِ أَضْـــعَافُ الـــذي نَـــالَ مَـــنْ تَبْكِـــينَ فِـــي جَـــوْفِ اللحُـــودِ

يتضح لنا –خلال البيتين السابقين- أن التضاد الإيجابي جاء في سياق الحزن على الحال الذي وصل إليه الوطن العربي أجمع، وليس فلسطين فحسب؛ حيث مزج الشاعر بين لفظتي "ميت" و"حي"، وبين لفظتي "العيش" و"اللحود"؛ ليصور للمتلقي مشهد الألم الذي يعيش فيه الشعب العربي جراء مانالله من المحتل الأجنبي من عذاب وقهر؛ حتى أصبحت النفوس العربية في تعداد الموتى، رغم أن قلوبهم

[1] يعبر الشاعر في هذه الأبيات عما فعله الاحتلال الغربي داخل البلدان العربية؛ حيث ترك بصمته المدمرة داخل الأراضي وداخل النفوس؛ فأصيب المواطن العربي بالحسرة والقهر؛ كنتاج طبيعي للاستعمار الذي طغى وتجبر داخل تلك البلاد.

مازالت تنبض بالحياة؛ بل إن الموتى داخل اللحود يتلقون الراحة والنعيم أكثر من الذين يحيون على الأرض المحتلة؛ وكل هذا يدل على الظلم الكبير الذي تتعرض له هذه الشعوب كل يوم على أيدي المحتل المغتصب، وقد أكد الشاعر هذا المعنى عن طريق استخدام "كم الخبرية" في البيت الأول؛ ليدل على كثرة وقوع الشهداء داخل البلاد العربية، إضافة إلى ذلك استخدم الشاعر ظاهرة التكرار؛ حيث تكرر الفعل الماضي "نال" في البيت الثاني؛ لتأكيد معاناة الشعب العربي بسبب الشقاء الواقع عليهم.

ويظهر مما تقدم أن الثنائيات المتضادة قد عكست الحياة الصعبة التي يحياها المواطن العربي داخل بلاده المحتلة؛ تلك البلاد التي أصابها الدمار، وانتشر فيها الظلم والفساد والقهر؛ فكان التضاد قادرًا على توصيل الفكرة التي أراد الشاعر إيصالها إلى القارئ في صورة مجسدة وواضحة وسلسة؛ عملت على إثارة المتلقي، وجذبه نحو التجربة الشعرية.

وقد وردت ظاهرة مزج المتناقضات في موضع آخر من القصيدة مع اختلاف الغرض الفني الذي جاءت من أجله؛ حيث يقول الشاعر : (الخوري، 1961م، قصيدة "أو ما فى العُرب"، ص323).

كُـــلُّ يَـــوْمٍ يَكْشِـــفُ العِلْـــمُ لَهُـــمْ أَثَـــرًا عَـــنْ ذَلِـــكَ الْمَاضِـــي المَجِيـــدِ

كُلمَـــا قِيـــلَ انْطَـــوَتْ أَعْلَامُهُـــمْ وانْطَـــوَوْا هَبُّـــوا إِلـــى مَجْـــدٍ جَدِيـــدِ

كَـــالنجُومِ الزهْـــرِ فِـــي أَفْلَاكِهَـــا أَبَـــدًا بَـــيْنَ هُـــوِيٍّ وصُـــعُودِ

جاء التضاد الإيجابي بين الألفاظ هنا كاشفًا عن مشاعر الفخر والتعظيم التي يكنها الشاعر للوطن العربي؛ الذي تميز تاريخه بالأمجاد العريقة والانتصارات؛ فقد ورد التضاد بين لفظتي "انطووا" و"هبوا"، وبين لفظتي "هوى" و"صعود"؛ ليبرز للمتلقي قوة المواطن العربي، وقدرته على مقاومة الهزيمة والانكسار، والصمود مرة أخرى أمام الأعداء مهما بلغوا من تقدم وقوة؛ فالتاريخ العريق يشهد على انتصارات الشعب العربي مهما كانت المواجهات والضغوط؛ فقد ظلت أعلام الانتصار تحلق مرتفعة في سماء الوطن العربي، وظلت النفوس العربية رافضة للسقوط، ومتأهبة للاستمرار في تحقيق الأمجاد مهما طال الزمن؛ فهم قادرون على استعادة القوة، والظهور في ساحة المعركة من جديد من أجل رفعة شأن الوطن العربي، وإضافة أسطر العزة والانتصار إلى تاريخ الأجداد العريق؛ مثل النجوم التي تختفي تارة، وتظهر تارة أخرى بشكل مفاجئ في السماء؛ فتبهر العيون بصورتها اللامعة وضوئها البراق الذي يخطف الأنظار.

وبذلك نرى أن الثنائيات المتضادة عكست مشاعر الحب التي يكنها الشاعر لوطنه ورجاله، ومشاعر الفخر والاعتزاز التي يحملها في نفسه لتاريخ الشعوب العربية العريق، ولما حققه الأجداد من انتصارات وأمجاد؛ تستحق الفخر والإعجاب.

وعلى النقيض من تلك المشاعر؛ نجد أن التضاد قد عكس أيضًا مشاعر الكره والغضب والبغض التي يحملها الشاعر لهؤلاء الأعداء الذين يضعون العرب دائمًا في محل الضعف والعجز؛ سالبين منهم القوة والعزيمة، محاولاً أن يذكرهم بالأمجاد العريقة التي تغلب فيها الأجداد العرب على أعدائهم.

وثمة أبيات أخرى يتضح فيها استخدام الشاعر لظاهرة التضاد؛ حيث يقول: (الخوري، 1961م، قصيدة "نفع الضر"، ص122).

هِـــيَ الْمَـــرَّةُ الْأُولـــى بِهَـــا نَفْـــعُ الضُـــرّ نُسَـــرُّ بِهَـــا فِـــي السِـــرّ إِنْ أَخجَـــلَ الجَهْـــرُ
ظللنـــا علـــى التفريـــقِ والـــدهْرُ جَـــامِعٌ فَلَـــمْ نَتَّفِـــقْ حتَّـــى تَوَزَّعَنَـــا الـــدَّهْرُ
سَـــيبْقَى لهـــذَا الْجُـــوعِ ذِكـــرَانِ بَعْـــدَنَا يُفَرّحُنَـــا ذِكْـــرٌ وَيُحْزِنُنَـــا ذِكْـــرُ

ورد التضاد الإيجابي هنا في سياق الحمد والشكر؛ حيث إن الشاعر يحمد الجوع والمجاعات التي كانت سببًا في حدوث الإفاقة للشعب العربي، وقد جاءت الثنائيات المتضادة بشكل تعاقبي داخل الأبيات؛ فمزج الشاعر بين الألفاظ المتضادة ("نفع" و"ضر"، و"السر" و"الجهر"، و"التفريق" و"جامع"، و"يفرحنا" و"يحزننا")؛ ذلك المزج الذي جسد للمتلقي المشاعر المضطربة التي يحياها الشاعر؛ من حيث شعوره بالألم نتيجة ما أصاب الوطن العربي من حرمان وتفرق واستعمار وكبت للحريات، وفي مقابل هذا الشعور القاسي؛ نجد شعوره بالفرحة الداخلية بسبب إفاقة الشعب العربي، وتفتح عينه على ضرورة الثورة على الظلم؛ بعدما اجتاحت المجاعات بلاده، وأصبح مهددًا بالإبادة والموت في كل لحظة؛ مما جعله يلجأ للاتحاد من أجل تحقيق الانتصار؛ فكان الجوع بما يحمله من نقمة وبلاء سببًا في تحقق الهدف الذي ظل يسعى إليه الشاعر طوال حياته؛ وهو إعلان الثورة على المحتل الأجنبي، والتخلص من استبداده؛ لذا كانت تلك الأزمة مصدرًا للبهجة والسعادة لنفس الشاعر.

وقد استند الشاعر في البيت الأخير على الفعل المضارع الذي اتصلت به سين التسويف "سيبقى"؛ ليؤكد هذا الشعور؛ فذلك الفعل بما يحمله من دلالة مستقبلية قد أظهر استمرار تذكر أبناء الوطن العربي لهذا الجوع؛ الذي سيظل يحمل داخل القلوب ذكرى حزينة؛ بسبب ما أحدثه من ضرر، وهلاك وقع على الشعب العربي، كما أنه سيحمل ذكرى أخرى سعيدة بسبب ما أحدثه من هزة قوية داخل النفوس العربية؛ حيث نجح في جمع العرب تحت غرض واحد بعد التفرق الذي أصابهم؛ الأمر الذي يدل على شدة هذا البلاء الذي تعرض له المواطن العربي وقتذاك.

ومن ثم كان المزج بين المتناقضات قادرًا على نقل الفكرة التي أراد الشاعر إيصالها إلى المتلقي؛ عن طريق إيراد اللفظة ومضادها؛ فهو يعمل على شحذ انتباه المتلقي، وجذبه نحو التجربة الشعرية؛ فعلى الرغم من الضرر الذي تسبب فيه هذا الجوع من موت وهلاك؛ لكنه أحدث نفعًا كبيرًا يستحق عليه الحمد، كما يستحق الفرح بحدوثه حتى وإن كان هذا الفرح غير معلن، وكامن داخل القلوب والنفوس.

وفي إطار التضاد السلبي يقول الشاعر: (الخوري، 1961م، قصيدة "الحرب"، ص85) .

بَنِـي وطَنِـي والنصْـحُ مجْهُـودُ مُخْلِـصٍ يَـرَى الصـمْتَ ذَنْبًـا فِـي الهَـوَى لَـيْسَ يُغْفَـرُ
لَنَـا كُـلَّ يَـوْمٍ عِبْـرَةٌ تِلْـوَ عِبْـرَةٍ وَكَـم مِـنْ بَصِـيرٍ لَـيْسَ يُبْصِـرُ

فالتضاد السلبي هنا جاء في سياق النصح والإرشاد؛ فالشاعر يحاول أن يقدم النصيحة الواجبة إلى أبناء وطنه حتى يفتحوا أعينهم المغلقة عن ألاعيب الأعداء والحكام الذين نشروا الدمار داخل الوطن؛ فقد كشف التضاد السلبي بين "بصير" و"ليس يبصر" عن وعي الشاعر بأحداث الوطن العربي، وما يحيط به من خداع وألاعيب من قبل المستعمر الغربي؛ الذي استولى على البلاد العربية بالدهاء والحيل الكاذبة، وأفصح عن معرفة الشاعر القوية برجال وطنه؛ فهو يعلم جيدًا أنهم على دراية كاملة بخبث هؤلاء الأعداء، وبكل الدروس والعبر التي تلقوها من قبل هذا العدو المغتصب، وأنهم قادرون على المواجهة

والصمود؛ ولكنهم في الوقت ذاته يصرون على غلق أعينهم عما يفعله هؤلاء المجرمون داخل أوطانهم، ومستمرون في اتباع أسلوب التباطؤ والصمت عما يجري حولهم من أحداث أليمة بها انتهاك للحقوق والحريات، مؤكدًا كثرة العبر والدروس المُرة التي يتلقونها من العدو الأجنبي؛ وذلك عن طريق تكرار لفظة "عبرة" مرتين في البيت الثاني؛ ليؤكد المعنى الشعري الذي يريد إيصاله للمتلقي.

وقد استغل الشاعر ما يحمله الفعل المضارع المنفي "ليس يبصر" من دلالة على تجدد الحدث واستمراره؛ ليبرز فكرة استمرار هؤلاء الرجال في غلق أعينهم، وضعفهم، وتخاذلهم أمام أعداء الوطن؛ فنجد التضاد هنا قد أظهر الحب الشديد الذي يكنه الشاعر لوطنه؛ فهو حريص حرصًا شديدًا على وطنه، وعلى أهله؛ الأمر الذي جعله يتوجه إليهم بنصيحة تكمن فيها مشاعر الحب والإخلاص ليستفيقوا من هذه الغفلة.

وقد ورد التضاد السلبي في أبيات أخرى؛ حيث يقول الشاعر: (الخوري، 1961م، قصيدة "هناك"، ص260).

قـــالوا النَّوَائِـــبُ لِلأَضْـــدَادِ جَامِعَـــةً   حَلّـــتْ بِهِـــمْ نـــوبُ الـــدنيَا ومَـــا اجتَمَعُـــوا

نَفْـــيٌ وشَـــنْقٌ وتَجْوِيـــعٌ وأَوْبِئَـــةٌ   لَـــوْ نابَـــتْ السُّـــبُعَ الْتَقَّـــت لهَـــا السُّـــبُعُ

فالتضاد السلبي وقع بين "جامعة" وبين "ما اجتمعوا"؛ ليؤكد الشاعر صعوبة جمع شمل العرب، وتوحيد صفوفهم تحت غاية "الحفاظ على الوطن العربي من العدو الأجنبي الذي يتسلل بكل دهاء وخبث إلى الأراضي العربية ويستعمرها"؛ فالمصائب التي مرت بها البلاد العربية عبر الأزمنة المختلفة لم تنجح في جعل العرب يدًا واحدة أمام كل طاغٍ يحاول النيل منهم ومن أراضيهم.

فالتضاد هنا جاء ناسجًا لرؤية القروي وعالمه الداخلي؛ حيث عكس حالة النزاع النفسي التي يمر بها، والحزن الذي يحمله داخله بسبب الجرائم التي ترتكب في حق وطنه؛ فالشاعر اتكأ على أداة التضاد في التعبير لنقل الفكرة التي تحتويها الأبيات الشعرية إلى المتلقي في صورة واضحة وبارزة؛ كانت قادرة على الاستحواذ عليه، والتأثير فيه.

وفي إطار الحنين الرومانسي إلى الوطن يقول الشاعر : (الخوري، 1961م، قصيدة "ألبنان"، ص691).

أَثُـــورُ إِذَا جَـــارُوا عَلَيْـــكَ ولَـــمْ تَثُـــرْ   فَيلْمَـــعُ فِـــي كَفِّـــي لِجَنْبَيْـــكَ مِبْضَـــعُ

وَيَغْلِبُنِـــي فِيـــكَ الْحَنِـــينُ فَـــأَنْثَنِي   وَزَنْـــدِى مَشْـــلُولٌ وَطَرْفِـــي يَـــدْمَعُ

جاء التضاد هنا في سياق الحنين الجارف إلى الوطن؛ إذ يناجي الشاعر وطنه ويخاطبه ويبث إليه حنينه وشكواه، ومايحمله قلبه من وجع وألم نتيجة فراقه له. وقد ورد التضاد السلبي في النص بين "أثور" وبين "لم تثرْ"؛ ليكشف عن الحب الشديد الذي يحمله الشاعر في قلبه لوطنه الذي ولد وتربى داخله؛ فهو يحيا دائمًا في ثورة داخلية من أجله، ويريد له الانتصار والحرية؛ حيث نجد نبراته قد امتلأت بالحب، وفاضت بالولاء والإخلاص لهذا الوطن الذي يشتاق إليه كثيرًا، ونرى مشهد تساقط الدمع بغزارة من عينيه؛ نتيجة حنينه للبنان التي يعجز عن الدفاع عنها، والعودة إليها مرة أخرى.

ومن ثم يتضح لنا أن التضاد عبر عن المكانة الكبيرة التي تحتلها لبنان داخل قلب الشاعر، كما عمل على إثارة المتلقي، ولفت انتباهه نحو المعنى المتضمن في النسق الشعري؛ فهو يدفعه إلى اكتشاف المعنى الكامن خلف الألفاظ المتضادة، والتفاعل التام مع الأبيات.

وقد عبر الشاعر عن الثورة التي تحدث داخل نفسه كلما حلت على وطنه نكبة أو مصيبة؛ عن طريق الفعل المضارع "أثور"؛ الذي دلَّ على استمرار عشقه وحبه لهذا الوطن؛ هذا العشق الذي لاينتهي، ولاينفذ مهما طال الغياب؛ فنفسه لاتهدأ، ولا تستكين حتى يحصل هذا الوطن على استقلاله، كما دل الفعل المضارع "لم تثر" على ركود وطنه الدائم عن الثورة والتحرك نحو الاستقلال، وقد ساعد على تعزيز هذا المعنى استخدام الشاعر -داخل الطباق السلبي- لأداة النفي "لم"؛ التي قامت داخل النص بدورٍ مزدوجٍ؛ حيث عملت على إظهار التقابل بين الإيجاب والسلب من ناحية، كما قامت بتحويل المضارع إلى ماضٍ من ناحية أخرى؛ مما أعطى دلالة ممتدة للزمن؛ فلبنان لم تثرْ في الماضي، ومازالت مستمرة في عدم ثورتها في الحاضر.

وثمة قصيدة أخرى يظهر فيها استخدام الشاعر لظاهرة التضاد؛ يصف فيها "سلطان الأطرش" (البعيني، 1993م، ص159)[1] قائد الثورة السورية الكبرى ؛ التي انطلقت من جبل العرب عام 1925م؛ ذلك البطل الهُمام الذي وقف صامدًا أمام القوة الفرنسية التي اقتحمت منزله، وانتهكت حرمته؛ فانهال على "التنك" الفرنسي ورجاله بالضرب وقاتلهم بالسيف واحدًا إثر واحد حتى حقق النصر، وقضى عليهم جميعًا بمفرده؛ لذلك أصبحت هذه الواقعة رمزًا للبطولة والشجاعة؛ فقد استطاع أن يهزم هؤلاء الأعداء بسلاح بسيط هو سيفه الهندي في مقابل جيش مدرب ومنظم، ومسلح بالدبابات، ومجهز بأحدث الأسلحة الفتاكة. نجد الشاعر يصور هذه المعركة على مدار القصيدة عن طريق مزج الألفاظ المتضادة، قائلاً:
(الخوري، 1961م، قصيدة "سلطان الأطرش والتنك"، صص242- 243).

وأَيُّ دَرِيئَـــــةٍ تَعْصِـــــي حُسَـــــامًا ... تَعـــــوَّدَ فِـــــي يَمِينِـــــكَ أَنْ يُطِيعَـــــا
أَلَـــمْ يِلْـــبسْ عِـــدَاكَ التَّنْـــكَ دِرْعًـــا ... فَسَـــلْهُمْ هَـــلْ وَقَـــى لَهُمُـــو ضُـــلوعا؟

وفي مقطع ثانٍ من القصيدة يقول:

وَكَهْرَبْـــتَ الْبِطَـــاحَ بِحَـــدِّ عَضْـــبٍ ... بَهَـــرَتْ بِـــهِ الْعِـــدَى فَهَـــوَوْا رُكُوعـــا
كَـــأَنَّ بِـــهِ إِلَـــى الإِفْرَنْـــكِ جُوعًـــا ... وَسَـــيْفُكَ مِثْـــلُ ضَـــيْفِكَ لَـــنْ يَجُوعـــا

[1] "قامت المعركة من أجل الدفاع عن قضية أدهم الخنجر؛ وهو ثائر شيعي من جبل عامل، وأحد أفراد المجموعة المتهمة بمحاولة اغتيال الجنرال غورو. التجأ إلى شرق الأردن، واحتمى بفؤاد سليم، إلى أن شعر هذا أن المخابرات علمت بوجوده، وعزمت على أن تقبض عليه؛ فنصحه بالالتجاء إلى مكان آمن، وأرسله بصحبة شكيب وهاب إلى القرية ليحتمي بحمى سلطان الأطرش، وعند وصوله إلى القرية اعتقلته السلطة، وأرسلته مخفورًا إلى سجن السويداء، وكان سلطان آنذاك في بلدة أم الرمان؛ فأعلمه شكيب وهاب بما حصل؛ فأسرع يطالب بإطلاق سراح أدهم الذي لم يكن يعرفه؛ ولكن قضيته كانت تعنيه وتعني قومه؛ لأنه جاء إلى داره ضيفًا مشهودًا، وهو لم يكن مجرمًا ليقبض عليه؛ بل هو وطني ثائر يتحتم على الوطنيين -خصوصًا من هم في موقع القيادة كسلطان- حمايته والدفاع عنه، ولأن عمل الفرنسيين مناقض للبند الثاني من النظام الأساسي لحكومة جبل الدروز؛ الذي ينص على انطباق إدارة الجبل على العوائد المحلية؛ فحين لقي سلطان صدًّا لطلبه؛ استنفر سكان المقرن القبلي والسويداء؛ فلبى الكثيرون طلبه، وطوقوا قلعة السويداء؛ حيث سجن أدهم"

وفي مقطع ثالث يقول الشاعر:

وفَجَّـــــرَ لِلـــــدِّمَاءِ بِهِـــــمْ عُيُونًـــــا تُجَـــــارِي مِـــــنْ عُيُـــــونِهِمُ الـــــدمُوعا

فَخَـــرَّ الْجُنْـــدُ فَـــوْقَ التِّنِّـــكِ صَـــرْعَى وخَـــــرَّ التِّنِّـــــكُ تَحْتَهُمُـــــو صَـــــرِيعا

فَيَالَـــــكِ غَـــــارَةً لَـــــوْ لَـــــمْ تُـــــذِعْهَا أَعَادِينَـــــــا لَكَـــــــذَّبْنَا الْمُـــــــذِيعا

لقد ورد التضاد داخل المقاطع الشعرية السابقة في سياق الفخر والاعتزاز بهذا البطل الهُمام؛ الذي أطاح بالأعداء الفرنسيين، وشن غارة في شجاعة وجرأة؛ من أجل إنقاذ أسير عربي استغاث به، واحتمى بمنزله؛ فالتضاد الإيجابي الذي ورد بين لفظتي "تعصي"، و"يطيعا" قد أفاد معنى التعظيم لهذا القائد المغوار، وعبر عن بسالته وجرأته، وشجاعته في القتال من أجل الحفاظ على المُثل والقيم المقدسة عند العرب منذ آلاف السنين؛ فسيفه دائم على الطاعة في قتل كل من يجور على قيم العرب وأرضهم، ودائم على التصويب في الجبهة الصحيحة من أجل النيل من الأعداء بكل احترافية وقوة؛ فقد عكس التضاد مشاعر الفخر والحب التي يكنها الشاعر لهذا القائد الشجاع.

كما ورد التضاد السلبي في المقطع الثاني بين "جوعًا" و"لن يجوعا"؛ ليبرز القوة التي انبعثت من سيف هذا القائد العظيم؛ تلك القوة التي جعلته يفتك بالأعداء، ويطيح بهم أرضًا بضربة قوية واحدة، وكأن السيف كان جائعًا لهؤلاء الأجانب؛ فقرر أن يلتهمهم جميعًا، وأن ينتصر عليهم، وهذا ليس بعجيب؛ فسيف سلطان الأطرش الذي اشتهر بكرمه الزائد مع ضيوفه لن يجوع، وسوف يستمر هذا القائد في تقديم الأعداء كوليمة لسيفه حتى يشبع بقتلهم، ولن يبخل عليه؛ وهذه التعبيرات تدل على إصرار هذا البطل على الاستمرار في محاربة الأعداء، وعدم توقفه عن مهاجمتهم في المستقبل؛ حتى يقضي عليهم، وقد أكد الشاعر هذا المعنى بوجود أداة النفي "لن" التي تسبق الفعل المضارع؛ تلك الأداة التي تنفي حدوث هذا الفعل في المستقبل؛ فهو مستمر في التهام أعداء الوطن، والنيل منهم، ومواجهتهم، والانتصار عليهم.

وفي المقطع الثالث الذي أبرز فيه الشاعر الخيال التصويري لمقتل هؤلاء الأعداء؛ نجده يستخدم التضاد بين ظرفي المكان "فوق" و"تحت"؛ ليوثق لحظة انهزام التنك الفرنسي وجنوده المسلحين بأحدث الأسلحة أمام السيف البسيط الذي يمتلكه سلطان الأطرش؛ الذي كان الانتصار حليفه في نهاية المعركة؛ فقد جسد الشاعر مشهد مقتل هؤلاء الأعداء وسقوطهم على الأرض غرقى في الدماء في صورة حركية أمام أعين المتلقي؛ ليثير عنصر التخيل عنده لهذه المعركة التي دارت، وليجعله يشعر بأهمية الحدث الذي تدور حوله القصيدة.

ونلحظ أن المزج بين المتناقضات داخل المقاطع الشعرية قد حمل ألوانًا وأغراضًا عدة؛ فنجده تارة جاء بغرض إظهار مشاعر الإعجاب والفخر بهذا البطل المثالي، والثناء على البطولة النادرة التي خاضها، وتارة أخرى جاء بغرض إظهار مشاعر الانبهار والدهشة بهذا السيف الذي صمد مع صاحبه وسانده أمام الأعداء، وكان أداة طيعة له في القتال والبطولة الخارقة التي أداها، ومرة ثالثة نجده جاء بغرض إظهار ضعف هؤلاء الأعداء أمام قوة وصمود وشجاعة المحارب العربي؛ على الرغم من امتلاكهم العتاد القوي الذي يؤهلهم للانتصار بكل سهولة ويسر.

وهكذا كان المزج بين المتضادات قادرًا على نقل التجربة الشعرية بكل تفاصيلها، وبكل ما تحتويه من مشاعر متباينة؛ كانت قادرة على التأثير في المتلقي، وإثارة ذهنه، وبث أحاسيس الانتصار الرائعة

داخله، كما استطاع أن يجسد المعركة الوطنية التي قامت بين الجهتين في صورة حية؛ تساعد المتلقي على تخيل الأحداث، ورسم تفاصيلها بدقة؛ وإيقاظ ذهنه نحو الحدث المقدم داخل الأبيات.

المظهر الثاني: المقابلة:

تعد المقابلة أحد المحسنات البديعية التي تضيف إلى النصوص الشعرية صفتي الوضوح والحُسن، ويكمن الفرق بينها وبين التضاد في أنها تعتمد في تكوينها على التقابل بين تركيبين متضادين ومختلفين؛ وهذه الظاهرة الفنية لها جذور عند البلاغيين القدامى؛ حيث أشار إليها ابن رشيق القيرواني قائلاً: "المقابلة أصلها في ترتيب الكلام على ما يجب؛ فيعطي أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به آخرًا، ويؤتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه. وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد؛ فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة". (ابن رشيق القيرواني، د. ت، ص15) .

فالمقابلة يظهر تأثيرها الفني والبلاغي على المتلقي من جهة، وعلى النص الشعري من جهة أخرى؛ حيث إنها تسهم في ترسيخ المعنى الشعري داخل ذهن المتلقي، وتساعد على إبرازه في صورة واضحة، كما أنها تكسب النص الشعري صفة المرونة والحيوية؛ حيث إن "المقابلة بين الأفكار والصور وسيلة أو بالأحرى ضرورة- فنية، وبنية فكرية يلجأ لاستخدامها الفنان والشاعر والمفكر، وكل من له صلة بوسائل التعبير الفني؛ فعندما تتعمق التجربة الفنية أو الفكرية، وتتسع أبعادها، وتصل إلى حد الاستيعاب الشمولي؛ يغدو بالإمكان معالجة المتباين من الأفكار والصور على صعيد واحد، وربما يمكن القول أيضًا إنه من الممكن احتواء المتضادات دفعة واحدة، وتسييرها في إطار عمل فني؛ وذلك لبيان موقف، أو جلاء فكرة، أو إحداث احتمالات جديدة وخلقها". (الشرع، 1987م ، ص88).

وقد تنبه الشاعر رشيد سليم الخوري للفوائد البلاغية التي تكمن وراء ظاهرة المقابلة؛ تلك الظاهرة الفنية التي تحمل داخلها العديد من الشحنات الجمالية؛ مما يسهم في تقديم تجربة الشاعر الشعرية في إطار جمالي؛ يعمل على إثارة المتلقي والتأثير فيه، وجذبه نحو العمل الشعري المقدم له، كما يمنح النص الشعري العمق الدلالي والثراء الفني؛ لذلك نجد أن الشاعر قد وظف تلك الظاهرة الفنية داخل ديوانه؛ ليعبر عن وطنه، وما أصاب هذا الوطن من لحظات يأس، وفرح، وانهزام، وانتصار، كما تمكن بواسطتها أن ينقل للمتلقي مايجول في خاطره من رؤى وأفكار تمس هذا الوطن الذي يعشقه.

نجد هذا في الأبيات التي كتبها الشاعر بعد إعلان الوحدة بين مصر وبين سوريا عام 1958م في عهد الرئيس جمال عبد الناصر؛ تلك الوحدة التي جعلت الشاعر يتهلل بمشاعر البهجة، وجعلت نفسه المتعطشة للعروبة تسعد بترديد الرئيس جمال عبد الناصر للفظة "العروبة" داخل خطابه الذي ألقاه يوم عيد الوحدة عام 1960م؛ تلك اللفظة التي كان يطرب لها الشاعر، وتسكره دون أن يتجرع الخمر؛ حيث يقول : (الخوري ، 1961م ، ، قصيدة "باسم العروبة"، ص733).

شَـرَحْتُ صَـدْرِي لَهَـا طِفْـلاً وهَـلْ بِسِوَى ... ذِكْـــرِ العُرُوبَـــةِ صَـــدْرُ الحُـــرِّ يَنْشَـــرِحُ

كَـــمْ جَرَّعَتْنِـــي لَيَـــالِي بُؤْسِـــهَا تَرَحًـــا ... فَحَـــقَّ لِـــي فِـــي لَيَـــالِي عُرْسِـــهَا الفَـــرَحُ

حَسْـــبِي اســـمُهَا يانَـــدِيمِي إِننِـــي ثَمِـــلٌ ... كالشَـــــــارِبِينَ ولَا خَمْـــــرٌ ولَا قَـــــــدَحُ

جاءت المقابلة بين شطري البيت الثاني في سياق إظهار الفرح الذي يغمر قلب الشاعر بعد إعلان الوحدة بين مصر وبين سوريا؛ فنجدها كشفت عن مدى إيمان القروي بقضية الوحدة بين البلاد العربية،

ومدى اشتياقه لرفع شعار العروبة داخل تلك البلاد، كما أظهرت تبدل حال الشاعر فور إعلان الوحدة بين البلدين، وإلقاء الرئيس لهذا الخطاب؛ فبعدما كان يتجرع الحزن والغم والهم؛ أصبح الآن في حالة من السرور والفرح بعدما بدأ حلمه وهدفه المنشود في التحقق؛ ذلك الهدف الذي ظل يدعو إليه وهو في مهجره، ويحلم بتحقيقه، وظل قلمه يحارب من أجل أن تنصت له جموع الشعب العربي. وقد أكد الشاعر مشاعر الفرح الشديد التي شعر بها عند سماع ذكر اسم العروبة، وقد وظف ظاهر التكرار في البيت الأول؛ للتعبير عن هذا الفرح؛ حيث تكررت عبارة "انشراح الصدر"؛ لتدل على طيب نفسه بذكر لفظة العروبة وسعادته وبهجته به.

وقد ساعدت المقابلة على تعميق الفكرة داخل النص، كما أدى التفاعل الذي حدث بين شعوري"الحزن" و"الفرح" داخل الأبيات إلى تشكيل الصورة وتقريبها إلى ذهن المتلقي؛ بشكل يثيره، ويستفزه، ويؤثر فيه، ويجعله مشاركًا في الصراعات النفسية والوجدانية التي تدور داخل نفس الشاعر.

وثمة أبيات أخرى يظهر فيها استخدام الشاعر لظاهرة المقابلة؛ ليعبر عن الشر الذي أصاب الوطن العربي جراء التمدن الذي أصبحت عليه دول الغرب؛ حيث يقول: (الخوري، 1961م، قصيدة "هذا حدادك"، ص 118) .

شَـــرُّ البَسَـــاطَةِ مَحْـــدُودٌ بِصَـــاحِبِهَا   ولِلتمَـــــدُّنِ شَـــــرٌّ غَيْـــــرَ مَحْـــــدُودِ

عَمَّـــتْ مَصَـــائِبُهُ الـــدنْيَا وقَـــد بَلَغَـــتْ   إلـــــى الســـــمَاءِ صُـــــعُودًا بِالّمَنَاطِيـــــدِ

جاءت المقابلة هنا في سياق الغضب؛ فقد عبرت المقابلة بين شطري البيت الأول عن ثورة الشاعر الداخلية جراء ما أحدثته دول الغرب من دمار وهلاك للبلاد العربية، وعن رفضه التام للتمدن الغربي الذي جلب معه الحزن والشقاء للوطن العربي؛ حيث كشفت المقابلة عن الفرق الكبير بين الشر المدمر الذي يكمن في تمدن تلك الدول-ذلك الشر الذي غمر البلاد العربية بضياع ومصائب لا حدود لها- وبين الشر الحميد الذي ينبع من بساطة وتأخر الشعوب العربية؛ ذلك الشر الذي لايؤذي غير صاحبه، ولا يتسبب في دمار وهلاك الآخرين.

كما ساعدت المقابلة على تحسين المعنى وتقريبه إلى ذهن المتلقي في صورة جلية وواضحة؛ تجعله يدرك المخاطر التي تحيط بالوطن العربي نتيجة عجلة التقدم التي تركبها الدول الغربية؛ بعكس تباطؤ الشعب العربي في اللحاق بركب التقدم والرقي؛ مما ينتج عنه عواقب وخيمة سوف تؤدي إلى تدمير الوطن العربي من جوانب شتى.

كما استطاع الشاعر عن طريق ظاهرة المقابلة أن يعبر عن موقفه الوطني تجاه تخاذل بعض اللبنانيين وقت وقوع الانتداب الفرنسي على لبنان (رمضان ، 2014م، ص210)[(1)]؛ خاصة بعدما شاهد

[(1)] "إن مشاريع تجزئة المنطقة العربية إلى دول عنصرية وطائفية بدا واضحًا في إطار ما عرف تاريخيًّا باتفاقية سايكس-بيكو في عام 1916م، ووعد بلفور في عام 1917م؛ التي طالت نتائجها المنطقة العربية، وتحديدًا بلاد الشام دون سائر الولايات العربية، التي كانت تابعة للدولة العثمانية قبل سقوطها. وعلى امتداد أكثر من نصف قرن، ومنذ أن أصدر الجنرال هنري جوزيف أوجين غورو (المفوض السامي على سورية ولبنان) عام 1920م مرسومًا بضم مناطق "بيروت" و"البقاع"، ومدن "طرابلس" و"صيدا" و"صور وملحقاتها" إلى متصرفية جبل لبنان، وجعلها جميعًا دولة واحدة هي دولة لبنان الكبير؛ كدولة مستقلة تحت الانتداب الفرنسي؛ كان الصراع الطائفي السياسي الباعث على الانقسام الوطني في لبنان يطرح نفسه بأشكال عدة؛ مثل الصراع نتيجة التناقضات المجتمعية، والصراع حول مفهوم الكيان اللبناني الشامل للرقعة الجغرافية".

البطولات التي حققها ثوار سوريا عندما انطلقت الثورة السورية الكبرى ضد فرنسا عام 1925م؛ حيث قال: (الخوري ، 1961م ، قصيدة "سلطان الأطرش والتنك"، ص244).

ألا أَمْثُولَـــــةٌ بِالسَّـــــيْفِ تُلْقَـــــى تَعَلَّمَهَـــــا مُعَلِّمُـــــكَ الخَلِيعـــــا

تُصَــــدِّعُ للعِــــدى شَــــمْلاً جَميعًــــا وتَجْمَـــعُ لّلْعُلَـــى شَـــمْلاً صَـــدِيعا[2]

بَـــدَتْ لَـــكَ فُرْصَـــةٌ لِتعِـــيشَ حُـــرًّا فَحَـــاذِرْ أَنْ تَكُـــونَ لَهَـــا مُضـــيعًا

ومَالَـــكٌ بَعْـــدَ هَـــذَا اليَـــوْمِ يَوْمًـــا فَـــإِنْ لَـــمْ تَسْـــتَطِعْ لَـــنْ تَسْـــتَطِيعا

لقد جاءت المقابلة بين شطري البيت الثاني في سياق الغضب أيضًا؛ فعكست حالة الثورة الداخلية التي يحياها الشاعر؛ تلك الثورة المتأججة داخل نفسه، والتي دفعته لعقد مقابلة يعلن فيها عن رفضه التام لأي عقيدة أو مبدأ يدعو إلى الخضوع والاستسلام؛ فتلك المبادئ تساعد الأعداء على جمع شملهم ومدهم بالقوة؛ فهو يحبذ أي عقيدة يكون شعارها الثأر بالسيف ورفض الظلم، والجهاد من أجل الحصول على الاستقلال، ويكون هدفها المنشود هو تفريق شمل الأعداء وتشتيتهم، وجمع شمل المجد والعزة الذي تفرق بسبب هؤلاء الأعداء؛ فهو يحاول أن يستثير حماسة المواطن اللبناني، ويحثه على تخطي تقصيره في حق نفسه وحق الوطن، والنهوض لاسترجاع الكرامة والحرية والعزة من جديد، مبرزًا تحذيره لأبناء وطنه؛ عن طريق توظيف ظاهرة التكرار في البيت الأخير؛ حيث تكرر الفعل المضارع المنفي بأداتي النفي "لم"، و"لن"؛ ليؤكد أن إهدار فرص الاستقلال من قبل المواطن اللبناني؛ سوف يجعل لبنان في قبضة العدو الغربي دائمًا وأبدًا.

وقد كشفت المقابلة عما يتمناه الشاعر من تحرير لبنان؛ هذا التمني الذي كان ممتزجًا بحزن شديد على ما أصاب وطنه من استعمار، وعلى ما أصاب رجال وطنه من تراجع وانهزام؛ فكانت المقابلة قادرة على نقل الحالة النفسية التي يحياها الشاعر إلى المتلقي في صورة جمالية واضحة؛ قادرة على التأثير في نفسه

وثمة نموذج شعري آخر استعان الشاعر فيه بظاهرة المقابلة؛ ليبرز موقفه تجاه القضية الفلسطينية بعد صدور وعد بلفور؛ الذي أعطى الحق لليهود للإقامة في فلسطين (النجار، د.ت، صص4-5؛ عيسى ،1991م ، ص1، 67)[1].؛حيث يقول: (الخوري، 1961م ، قصيدة "وعد بلفور"، ص 262) [2].

---

[2] للعُلَا

[1] "في الثاني من نوفمبر سنة 1917م؛ تلقى لورد روتشلد خطابًا من لورد بلفور وزير الخارجية البريطانية على لسان حكومته، وكان مضمون هذا الخطاب هو ماعرف بوعد بلفور؛ وهو يمثل رأي الحكومة الإنجليزية، ويتضمن اعترافًا رسميًا بحق اليهود في وطن قومي في فلسطين، وليس لهذا الاعتراف أي سند قانوني؛ فلا تملك أي دولة أن تمنح حقًّا لنفسها ولا لغيرها فيما لا تملك، وليس له بالتالي قيمة دولية ما لم تسنده القوة البعيدة عن الحق، ولا يصح أن نسميه وعدًا؛ فالوعد مرتبط منذ البداية بهذين العاملين: القهر ثم التسلط". وقد بدأت المؤامرة على دولة فلسطين حتى تحقق بريطانيا أغراضها الاستعمارية في بلاد الشرق، وتتخذ دولة فلسطين مصدر وقاية لمركزها داخل مصر؛ فقال بلفور عام 1840: "ستكون فلسطين اليهودية سدًّا في وجه أي محاولات شريرة لإنشاء دولة عربية؛ تضم مصر والشام، وتهدد مصالحنا من جديد؛ وبالفعل اشترى أحد أفراد أسرة روتشلد أسهم قناة السويس لحساب بريطانيا، وهجر بلفورد اليهود في فلسطين ليكونوا حراسًا للوجود البريطاني على شاطئ القناة".

الحَــقُّ مِنْــكَ ومِــنْ وعُــودِكَ أَكْبَــرُ ... فَاحْسِــبْ حِسَــابَ الحَــقِّ يــا مُتَجَبِّــرُ
تَعِــدُ الْوُعُــودَ وَتَقْتَضِــي إِنْجَازَهَــا ... مُهْــجَ الْعِبَــادِ خَسِــئْتَ يَــا مُسْــتَعْمِرُ
لَــوْ كنْــتَ مِــنْ أَهْــلِ المَكَــارِمِ لَــمْ تَكُــنْ ... مِــنْ جَيْــبِ غَيْــرِكَ مُحْسِــنًا يَــا بَلْفَــرُ
عِــدْ مَــنْ تَشَــاءُ بِمــا يَشَــاءُ فَإِنمَــا ... دَعْــوَاهُ خَاسِــرَةٌ ووعْــدُكَ أَخْسَــرُ
فَلَقَــدْ نَفُــوزُ وَنَحْــنُ أَضْــعَفُ أُمَّــةٍ ... وَتَــؤُوبُ مَغْلُوبًــا وَأَنْــتَ الْأَقْــدَرُ
فَلَكُــمْ وَقَــى مُتَوَاضِــعًا إِطْرَاقُــهُ ... وَكَبَــا بِفَضْــلِ رِدَائِــهِ الْمُتَكَبِّــرُ!

وظف الشاعر المقابلة في البيتين الخامس والسادس؛ بغرض إظهار التحدي لهؤلاء الأعداء المغتصبين، والتحدي لهذا الوعد القاهر الذي قضى على حق الفلسطينيين في الحرية والعيش بكرامة داخل وطنهم .

لقد جاءت المقابلة بين شطري البيت الخامس؛ لتعكس إيمان القروي بقدرة الشعب العربي على تحقيق النصر؛ حتى إن كان العرب هم الأضعف عددًا وعتادًا؛ ولكنه كان واثقًا كل الثقة من قدرته على تحرير بلاده في النهاية، وإخراج هذا العدو مغلوبًا من أرضه؛ على الرغم من امتلاك هذا العدو للسلاح القوي، وتلقيه للدعم المستمر من قبل دول الغرب الذين يعملون على تحقيق مصالحهم الذاتية.

كما جاءت المقابلة بين شطري البيت السادس كدليل على صحة الفكرة التي دافع عنها القروي في البيت السابق؛ فهو هنا يعزز الفكرة ويؤكدها عن طريق المقابلة؛ حيث إن من الممكن تحقق النصر في النهاية لهذا الضعيف المتواضع، وسقوط الظالم المتكبر على وجهه متعثرًا في رداء التكبر الذي يرتديه طوال الوقت؛ وهو هنا متأثر بقول الله تعالى في كتابه العزيز"كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ" (سورة البقرة، الآية 249) .؛ وقد كان لهذا التأثر أثره النفسي داخل الأبيات؛ حيث جاء ملائمًا لطبيعة الموضوع، وساعد على وصول الفكرة إلى المتلقي بشكل أسرع، وساعد على تحقق هدف الشاعر المتمثل في تحريك همة المتلقي، وإيقاظ وعيه، وإثارة ذهنه.

كما أكد الشاعر ثقته الكبيرة في تحقق النصر على هؤلاء الأعداء حتى إن أصدروا العديد من الوعود الظالمة عن طريق تكرار لفظة "الخسارة" في الشطر الثاني من البيت الرابع؛ ليساعد هذا التكرار على تدعيم الفكرة وتأكيد المعنى وتقويته.

وقد عكست المقابلة شحنة الغضب التي يحملها الشاعر داخل قلبه نتيجة سلب العدو لأرض فلسطين عنوة؛ تلك الشحنة التي جعلته يقف مجلجلاً؛ مخاطبًا لهؤلاء المستعمرين، ومعنفًا، ومقارعًا لهم الند بالند؛ ليبرز موقفه الوطني تجاه ماحدث لفلسطين التي لن يسكت الشعب العربي على الغدر الذي تعرضت له،

---

(2) وقد جاء مطلع القصيدة بصورة حماسية وبنبرة قوية جهيرة كانت قادرة على لفت انتباه السامعين؛ تلك النبرة التي حملت التعظيم لهذا الحدث الجلل الذي أصاب الوطن العربي بالشلل، وظلّ مثل طعنة تلقتها البلدان العربية، ومازال جرحها قائمًا حتى الآن، كما عبرت تلك النبرة العالية المحملة بألفاظ التهديد والوعيد على أن هذا الوعد الظالم مرفوض من قبل المواطن العربي الشريف الحر المتمسك ببلاده.

والظلم الذي وقع على أرضها وشعبها؛ فكانت المقابلة قادرة على نقل التجربة الشعرية في صورة حية وقوية، وقادرة على إثارة حماسة المتلقي، وجعله مشاركًا للشاعر في الاهتمام بتلك القضية الوطنية الشائكة.

المظهر الثالث: مقابلة الصور:

ونلمح في ديوان القروي نوعًا آخر من أنواع المقابلة؛ يختلف عن المقابلة التي حدثت بين الألفاظ والتراكيب؛ وهو ما يسمى بمقابلة الصور؛ حيث تقع المقابلة بين صورتين مختلفتين يتضمنهما النص الشعري، ويكون عنصر التضاد أساسيًّا في بنائهما؛ حيث نجد أن الألفاظ المتضادة تأتي بشكل مكثف داخل الأبيات؛ مكونة بذلك نصًّا شعريًّا مشبعًا بالصور المتضادة.

وتلعب المقابلة بين الصور على المستوى الشعوري للقارئ؛ حيث يمكن للصور المتضادة إقناع القارئ واستمالته نحو التجربة الشعرية التي يحملها النص الشعري؛ فالمقابلة بين الصور لها دور في "إبراز المعنى وتوضيحه، مع دوام الحدث وشموله؛ فمجيء المقابلة للشيء إنما يرسخه في الذهن" (عبد الغني، د.ت، ص 175).؛ فهي أداة تكثف المعنى، وتعززه، وترسخه في ذهن المتلقي؛ بإحضار كل ما هو غائب وبعيد، كما أنها أسلوب فني يساعد على تلاحم العبارات الشعرية وتماسكها.

وإذا انتقلنا إلى ظاهرة مقابلة الصور عند الشاعر؛ نرى أن استخدامها جاء من أجل تجسيد رؤيته حول الأحداث التي يمر بها الوطن، وإظهارها للمتلقي في صورة جمالية واضحة؛ تساعده على تفهمها واستيعابها، كما جاء توظيفها من أجل رسم بعض المواقف النفسية التي يمر بها الشاعر نتيجة الأحداث المؤلمة التي يواجهها الوطن وأبنائه، لتؤثر في شعور المتلقي؛ حيث نجد أن الألفاظ المتضادة جاءت بشكل متلاحق؛ مكونة بذلك ثنائية متضادة كبرى جسدها الشاعر بالصور المتضادة؛ مثلما نجد في هذه الأبيات التي وظف فيها الشاعر ظاهرة المقابلة بين الصور؛ ليعبر عن حال وطنه، وحال أبناء هذا الوطن؛ الذين تخاذلوا أمام العدو الغربي، وتراجعوا في الدفاع عن الوطن العربي؛ حيث قال: (الخوري، 1961م، قصيدة "الداء العياء"، ص64).

أَرَى الْعَرَبِــــــــيَّ وَالْغَرْبِــــــيَّ ذَا نَوْمًــــــا وَذا رَكْضــــــا

ومِــــــنْ أَبْنَــــائِهِمْ حَضًّــــا ومِــــــنْ أَبْنَائِنَــــا غَضًّــــا

لقد جاءت المقابلة بين صورتي الحركة والسكون -داخل الأبيات السابقة- في سياق التقريع لأبناء الوطن؛ بسبب تقاعسهم في الدفاع عن أرض الوطن الحبيب؛ حيث نجد الشاعر يوظف الألفاظ الدالة على الحركة في مقابل الألفاظ الدالة على السكون؛ ليقارن بين نوم العربي وغفلته، وبين جد الغربي وسعيه من أجل الحصول على أهدافه الاستعمارية.

يمزج الشاعر بين لفظتي "نومًا" و"غضًّا" الموحيتين بالسكون وعدمية الحركة ووهنها؛ التي تصدر من شخص يائس ضعيف لايستطيع الحراك ولا يريده؛ وهو "المواطن العربي"، وفي المقابل يأتي بلفظتي "ركضًا" و"حضًّا" الموحيتين بالقوة ونشاط الحركة وسرعتها التي تنبع من شخص قوي الإرادة، مصمم على تحقيق الغرض الذي يسعى إليه؛ وهو "المواطن الغربي". وقد مزج الشاعر بين الألفاظ المتضادة؛ ليظهر للمتلقي أن هناك صراعًا غير متكافئ يدور بين تلك القوتين؛ فهناك قوة مازالت مستمرة في نومها واستسلامها، وتقاعسها وسكونها، وهناك قوة أخرى تتحرك بشكل سريع من أجل اللحاق بسبق الانتصار، والقضاء على الوطن العربي بأكمله.

وقد استطاع الشاعر بواسطة المزج بين الصور المتضادة أن يعكس الحالة النفسية السيئة التي يمر بها ليثير المتلقي، ويدخله إلى عالم الحزن الخاص به، كما عبرت الثنائيات المتضادة عن الخطر الذي يحيط بالوطن العربي من قبل هؤلاء الغرب، وعبرت أيضًا عن مشاعر قومية حقيقية يمتلكها الشاعر داخله؛ حيث الغيرة على وطنه، وحرصه على النهوض بهذا الوطن، وحمايته من الأعداء.
ويتجلى استخدام الشاعر للمقابلة الفنية بين الصور؛ لإبراز المقابلة الزمنية بين عصرين مختلفين؛ حيث يقول: (الخوري، 1961م، قصيدة "يا أمة الشرق"، ص75).

عَبَــثَ الْأَخِيــرُ بِفَضْــلِكِ الْمُتَقَــدِّمِ ... لَا كَــــانَ وَارِثُ مَجْــــدِكِ الْمُتَهَــــدِّمِ
شَـرَفٌ هَـوى مِـنْ جَـوِّ عِـزِّكِ مِثْلَمَـا ... هَــوَتِ الرجُــومُ وكَــانَ فَــوْقَ الأَنْجُــمِ
يَــا أَمــةَ الشــرْقِ الّتــي ظَفِــرَ الْعِـدَى ... بِرَفِيــــعِ سُــــؤْدُدِهَا عَلَيْــــكِ تَرحُمِــــي
يَــا أَيُّهَــا الــوَطَنُ الشَّــقِيُّ بِأَهْلِــهِ ... لِلَّهِ مَافَعَلَــــــتَ يَمِــــــينُ الْمُجْــــــرِمِ
أَيْــنَ الْأُولــي أَنْجَبْــتَ أَرْبَــابَ الْعُلَــى ... وَالمَكْرُمَــــاتِ وَكُــــلِّ مَجْــــدٍ أَعْظَــــمِ[1]
مِــن كُــلِّ مَــنْ لَصَــقَ الْحُسَــامَ بِكَفِّــهِ ... فَتَكَــــادُ تَنْــــبِضُ فِيــــهِ أَعْــــرَاقُ الــــدَّمِ

يتضح في الأبيات السابقة أن المقابلة بين صورتي المجد والانكسار جاءت في سياق استبطاء نهوض أبناء الوطن أمام الحكم العثماني الظالم؛ فنلحظ أن الشاعر قد عقد مقابلة بين حال الوطن العربي وحال رجاله قديمًا، وبين حال هذا الوطن مع حالة الاستسلام التي أصابت رجاله حديثًا.
يوظف الشاعر في أبياته العديد من الألفاظ التي عبرت عن حالة التدهور التي أصابت الوطن العربي عامة، ولبنان خاصة؛ بعد فرض الحكم العثماني سيطرته عليها؛ وهي "عبث، و"المتهدم"، و"هوى"، و"ظفر"، و"العدى"، و"ترحمي"، و"الشقي"، و"المجرم"؛ تلك الألفاظ التي عكست صورة الانكسار التي أصبح عليها هذا الوطن حديثًا بعدما سيطر عليه المستعمر، وأصبح في موضع الشقاء والمهانة.
ومن جانب آخر نرى -في الأبيات- مقابل تلك الصورة الحزينة؛ إذ يستحضر الشاعر صورة مشرقة من الماضي البعيد؛ يعرض فيها حال هذا الوطن قديمًا؛ في عصر القوة والشموخ؛ عن طريق استعمال بعض الألفاظ التي عبرت عن ذلك بوضوح؛ وهي "أرباب العلى" و"المكرمات" و"مجد" و"أعظم"، و"الحسام"، و"تنبض"، و"أعراق الدم"؛ تلك الألفاظ التي عكست صورة المجد والعزة وتحقيق الانتصارات التي كانت في الماضي.
كما عكس المزج بين الصورتين المتضادتين شعور الحماسة الذي كان يتميز به المواطن العربي قديمًا، وفوران الدماء الذي كان يصيبه إذا استباح العدو أرضه؛ فنجده ينقض عليه بالسيف من أجل استرداد الحقوق المسلوبة؛ وهذا الشعور تبدل وتغير في الحاضر؛ حيث أصيب المواطن العربي بداء الجمود والتقاعس أمام أعداء الوطن؛ الذين يريدون سلب الحريات والأراضي العربية.

(1) العُلَا

كما أظهرت المقابلة حنين الشاعر إلى وطن عربي قديم؛ يكون مليئًا بالمجد والانتصارات، ومحاولته استنهاض الهمم من أجل تحقيق الحلم الذي طال انتظار حدوثه؛ فكانت المقابلة قادرة على رسم الموقف النفسي الحزين الذي يمر به الشاعر؛ مما جعلها أكثر تأثيرًا في المتلقي.

وثمة مقطع شعري آخر يتجلى فيه استخدام الشاعر لظاهرة المزج بين الصور المتضادة؛ ليظهر حنينه إلى لبنان التي يعشقها؛ حيث يقول: (الخوري، 1961م، قصيدة "الرجاء الوطني"، ص246).

غَرَسْـــتَ بِلُبْنَـــانَ وَرَدَ الْأَمَـــلْ ... فَقُـــلْ لِلمَهَـــاجِرِ أَنْ تَمَهَّـــلا

وَجُـــدْتَ عَلَيْـــهِ بِمُـــزنِ الْمقـــلْ ... فَقُـــلْ لِلأَمَـــازُونِ أَنْ يَـــبْخَلَا

وَحَلَّيْـــتَ قَلْبِـــي بِنَبْـــعِ الْعَسَـــلِ ... فَقُـــلْ لِلَيَـــالِي أَمْطِـــرِي حَـــنْظَلا

شَـــفَيْتُ بِتِـــذْكَارِ لبنَـــان قَلْبِـــي ... وَقَـــدْ عَـــزَّ عِنْـــدَ الطَّبِيـــبِ الشِّـــفَا

من البين أن المقابلة هنا بين صورتي الغياب والحضور جاءت في إطار الحنين والشوق إلى الوطن الذي فارقه، وفارق معه الذكريات العذبة التي تجمعه بأهله، وبأصدقائه، وبربوع هذا الوطن؛ فهذا الشوق الجارف هو الذي جعل الشاعر يعقد مقابلة داخل أبياته بين صورة الواقع الطاغي، الحاضر معه؛ وهو المهجر، وبين صورة الوطن الغائب عنه الذي لم يبقَ منه سوى الذكريات، والمواقف الخيالية التي يحياها داخل ذهنه؛ فنجد أن الثنائية المتضادة تتضح في مقابلة بعض الألفاظ؛ وهي "غرست" مقابل "تمحلا"، و"الجود" مقابل "البخل"، و"ماء الدمع" مقابل نهر الأمازون الكبير"، و"نبع العسل"مقابل الحنظل"، "وشفيت مقابل "عز الشفا"؛ ليبرز أن لبنان هي الوجود بالنسبة له، وهي الجنة التي يغرس فيها مشاعر الأمل والتفاؤل المستوطنة داخله؛ حيث إن ذكرياته العذبة داخل ربوعها بمثابة دواء يشفيه من كل الأمراض التي أصابت قلبه وروحه بفراقها؛ فهي تمثل له الروح والحياة بكل لياليها التي تذوق فيها طعم العسل الحلو، في مقابل مهجره بواقعه الأليم الذي لا يتقبل وجوده فيه، ويراه مليئًا بالفقر؛ مما جعله يصف نهر الأمازون بأنه نهر ممحل لاينبت زرعًا؛ بل يصب مياهه في جوف أرض فارغة، كما أنه يتذوق داخله الطعم المر لليالي التي يحياها في وحدة وحزن.

لقد عكست المقابلة هنا الحالة النفسية السيئة التي تسيطر على وجدان الشاعر؛ نتيجة فراقه لوطنه الذي يحبه ويعشقه، واستطاع بواسطة المقابلة بين الصورتين أن يستثير عاطفة المتلقي، ويشاركه أزمته النفسية التي يمر بها داخل مهجره الذي لم يألفه، ويرفض الوجود داخله. ولم يجد الشاعر أمامه حلاً سوى الاكتفاء بذكرى وطنه لبنان، محاولاً إقناع ذاته الحزينة بالعيش داخل تلك الأرض الغريبة.

كما استخدم الشاعر ظاهرة المقابلة بين الصور؛ ليبرز صورة الوطن الذليل الخاضع للاستعمار الأجنبي؛ حيث يقول: (الخوري، 1961م، قصيدة "عيد استقلال لبنان"، ص253).

ثُـــرْوَى بِدِجْلَـــةَ مَـــدْمِعِي وَفُرَاتُـــهُ ... يَـــا مَوْطِنًـــا لَـــمْ يَبْـــقَ غَيْـــرُ رُفَاتِـــهِ

خَلَـــتِ المَحَافِـــلُ مِـــنْ بَلَابِلِـــهِ فَـــلا ... تَقَـــعُ الْعُيُـــونُ عَلَـــى سِـــوَى حَشَـــرَاتِهِ

حسَـــبَ الْحَـــزِينِ عَلَيْـــكَ أَنَّـــكَ مِائَـــتٌ ... قَـــدْ عَيَّـــدَت أَحْبَابُـــهُ لِمَمَاتِـــهِ

شَـــقُّوا لَـــهُ الْأَعْـــلَامَ مِـــنْ أَكْفَانِـــهِ وَتَبَـــادَلُوا الْأَنْخَـــابَ مِـــنْ عَبرَاتِـــه

أَعْـــــلَامُ إِذْلَالٍ كَـــــأَنَّ خَفُوقَهَـــــا فِـــي جَـــوهِ لَطّـــمٌ عَلَـــى وَجَنَّاتِـــهِ

وقد جاءت المقابلة هنا بين صورتي الموت والحياة في سياق الثورة الداخلية التي انتابت الشاعر؛ نتيجة احتفال بعض أبناء لبنان كل عام بعيد استقلالهم في عهد الانتداب الفرنسي؛ غير مدركين حجم الشر الذي يتعرضون له من هذا الانتداب الأجنبي؛ فهذا التخاذل من بعض أبناء وطنه هو الذي أدى إلى تعرض أراضي لبنان للهلاك والضياع.

لقد جسد الشاعر صورة موت هذا الوطن وهلاكه على يد الأعداء الطغاة أمام أعين المتلقي؛ عن طريق استخدام العديد من الألفاظ التي أعطت دلالة هذا الموت وأبرزته في صورة واضحة؛ وهي "رفاته" و"حشراته"، و"مائت" و"لمماته" و"أكفانه" و"عبراته"، و"أعلام إذلال" و"لطم"؛ تلك الألفاظ التي شخصت الموت، وعكست حجم التشوه والدمار الذي أصاب لبنان بعد وقوع الانتداب الفرنسي عليها؛ حتى أصبحت عبارة عن حطام وفتات.

وفي مقابل تلك الصورة الراكدة الساكنة؛ يأتي الشاعر بصورة أخرى تعاكسها؛ وهي صورة الحياة التي غابت عن لبنان، معبرًا عن هذه الحياة باستخدام بعض الألفاظ داخل الأبيات ذاتها؛ هي "المحافل"، و"بلابله"، و"عيدت" و"الأعلام" و"الأنخاب"؛ تلك الألفاظ التي دلت على أن قلب هذا الوطن مازال ينبض بالحياة بوجود أشكالها المادية داخله، وكأن الشاعر أراد بتلك المقابلة استثارة همم أبناء وطنه من أجل التخلي عن خمولهم وتقاعسهم، والنهوض مرة أخرى لإنقاذ ما تبقى من حياة في وطنهم قبل أن يقضي الاحتلال عليه وعليهم.كما عكست المقابلة بين الصورتين الحالة النفسية التي يمر بها الشاعر؛ حيث سيطر الحزن على وجدانه؛ نتيجة ماأصاب لبنان من دمار وموت.

كما ظهر توظيف الشاعر لظاهرة المزج بين الصورالمتضادة في دعوته المغتربين لدعم أبطال الثورة السورية وقائدها "سلطان الأطرش" بالمال؛حيث يقول: (الخوري، 1961م، قصيدة "لِمَن المآدب"، ص305) [1]

وَاللَّهِ مَـــــاظَفِرَتْ يَـــــدَايَ بِلُقْمَـــــةٍ إلا عَرَانِـــــيَ خَـــــاطِرٌ رَجَّـــــافُ

وَتَمَثَّلَـــتْ لِـــي فِـــي الْمُضَـــارِبِ صِـــبِيَةٌ خُمْـــصُ الْبُطُـــونِ كَـــأَنَّهُمْ أَطْيَـــافُ

لَهُـــمُ الصَّـــحَارِي وَالْمَجَاعَـــةُ وَالصَّـــدَى وَلَنَـــا النَّـــدَى وَالْخَمْـــرُ وَالْأَرْيَـــافُ

أَشْـــبَالُ مِـــنْ نَثَـــرَ الْكَتَائِـــبَ سَـــيْفُهُ وَسَـــقَى السَّبَاسِـــبَ رُمْحُـــهُ الرُّعَـــافُ

أَنْجَـــالُ مَـــنْ كَانَـــتْ تَـــرُوحُ وَتَغْتَـــدِي كَالنمْـــلِ حَـــوْلَ خِوَانِـــهِ الْأَضْـــيَافُ

أَطْفَـــالُ سُـــلْطَانٍ تَجُـــوعُ وَطَالَمَـــا شَـــبِعَتْ بِفَضْـــلِ فُطُـــورِهِ الآلَافُ

[1] "أقامت الجالية العربية في بيونس أيرس سنة 1934 مأدبة سخية له ولرفيقه فرحات؛ فلما انتهى من إلقاء هذه القصيدة؛ رمى ريالاً على المائدة، وتبعه رفيقه بمثله؛ فتناثرت الأوراق المالية من كل صوب، واجتمع للمنكوبين مبلغ غير زهيد.

يظهر لنا -خلال الأبيات السابقة- أن المقابلة بين صورتي النعيم والهلاك جاءت في إطار الحزن على ما أصاب أبطال سوريا من دمار وهلاك؛ حيث نجد أن الشاعر يعرض صورة مؤلمة يصف فيها المنكوبين في سوريا؛ رجال القائد "سلطان الأطرش"الذين كان مصيرهم التعرض للمجاعة بعدما طوتهم الصحراء وهم خمص البطون، وأصبحوا عبارة عن أشباح وأطياف تتجول بحثًا عن الطعام والشراب في مكان خالٍ من الخيرات؛ تلك الصورة المريرة عكست للمتلقي حجم الكارثة التي تعرض لها هؤلاء الأبطال في سبيل الدفاع عن وطنهم والنهوض به، ودفع الأعداء خارج أراضيهم؛ حتى إن كان المقابل هو تضحيتهم بأنفسهم، وتعرضهم للخطر؛ مما يدل على الحب الشديد الذي يكنه هؤلاء الرجال لوطنهم.

وفي مقابل تلك الصورة القاسية يرسم الشاعر صورة أخرى تعاكسها؛ ليبرز النعيم الذي كان يعيش فيه كل من كان بعيدًا عن تلك الحرب الدامية؛ صورة الذين يتمكنون من الحصول على الطعام والشراب بسهولة ويسر، ويتنعمون بالسكن داخل المناطق العامرة بالخيرات، كما يبرز صورة أخرى في البيت الأخير؛ يتضح خلالها الكرم الذي كان يتمتع به قائد الثورة "سلطان الأطرش"؛ الذي شبع الآلاف من ولائمه التي كان يقيمها قبل قيام الثورة، في مقابل تعرض رجاله لتلك المجاعة المهلكة بعد قيام الحرب؛ دون أن يجدوا من يمد لهم يد العون لإنقاذهم من هذا الشر الذي لحق بهم؛ ومن ثم تعبر تلك المقابلة عن توجع قلب الشاعر، وعن شعوره بالألم بعدما عرف مصير هؤلاء الأبطال.

وقد أظهرت المقابلة هنا الحس العربي الصادق الذي يمتلكه القروي؛ هذا الشاعر اللبناني الذي رفض أن تظفر يداه بلقمة، ووقف مناديًا بمساعدة أشقائه العرب ومساندتهم في تلك المحنة التي يمرون بها؛ فكانت المقابلة بمثابة دلالة واضحة على عشق هذا الشاعر للوطن العربي بأكمله، وحرصه الدائم على مصلحة أبناء هذا الوطن.

كما استطاعت المقابلة نقل تلك المشاعر النبيلة والأحاسيس الفياضة تجاه الوطن وتجاه أبنائه في صورة فنية تؤثر في المتلقي، وتجعله يشعر بحجم النكبة التي تعرض لها هؤلاء الأبطال في سبيل الحفاظ على وطنهم من الأعداء الفرنسيين.

كما برزت ظاهرة المزج بين الصور المتضادة في أبيات أخرى للشاعر؛ ليعبر عن أبناء لبنان بعدما ضربت المجاعة الأراضي اللبنانية بعد قيام الحرب العالمية الأولى، (أنطنيوس، 1946م، ص213؛ مريدن، 1966م، صص170-171)[1].حيث يقول :(الخوري، 1961م، قصيدة "أحاسب ثغري"، صص120- 121) .

قُصُـــورٌ تُشَـــيَّدُ فَـــوْقَ الْقُصُـــورِ ... كَـــأَنَّ الخَوَرْنَـــقَ يَعْلُـــو السَّـــدِيرْ

تَكَـــادُ تُزَحْـــزَحُ صَـــدْرَ السَّـــمَاءِ ... وَتُبْـــرُزُ مِـــنْ فَـــوْقِ سَـــطْحِ الأَثِيـــرْ

[1] "بعد نشوب الحرب العالمية الأولى؛ حدثت مجاعة هائلة في لبنان؛ بسبب قلة الأرزاق والخيرات؛ حيث أصبحت كمية الحبوب الموجودة لا تكفي حاجة الشعب والجيش؛ فبدأ الأغنياء في احتكار الحبوب الموجودة، بالإضافة إلى هجوم مجموعة كبيرة من أسراب الجراد على البلاد السورية؛ فقضت على الفرصة الأخيرة في المحافظة على المحصول الموسمي؛ ذلك المحصول الذي كان الأمل الوحيد في إنقاذ لبنان من تلك المجاعة؛ مما أدى إلى وفاة كثير من سكان لبنان في ذلك الوقت.

أَرَى كُـــلَّ يَـــوْمٍ عُلْـــوًا جَدِيـــدًا صُـــــخُورُ عَلَالِـــــيَّكُمْ أَمْ نسُـــــورْ
كَفَـــاكُمْ صُـــعُودًا رِجَـــالَ الْيَسَـــارِ وَجُـــودُوا عَلَيْنَـــا بِمَـــالٍ يَسِـــيرْ
عَلَـــوْتُمْ عـــن الأَرْضِ جِـــدًّا فمَـــا رأَيْـــتُمْ عَلَـــى الأَرْضِ مَـــاذَا يَصِـــيرْ
بُطُـــونُ صَـــنَادِيقِكُمْ أَتْخِمَـــتْ وبَطْـــنُ الْفَقِيـــرِ كَجَيْـــبِ الفَقِيـــرْ

وفي مقطع آخر من القصيدة يقول:

تَـــذْكَّر جِيَاعًـــا بِبَـــرِّ الشَـــامِ وَبَـــرُّ الشَـــامِ أَعَـــزُّ البُـــرُورْ
إِذَا مَـــرَّ ذِكْـــرُكَ فِـــي بَـــالِهِمْ فَقَـــدْ مَـــرَّ فِـــي حِنْـــدِسِ اللَّيْـــلِ نُـــورْ
يَـــذُوبُونَ جُوعًـــا إِلَـــى بُلْغَـــةٍ وتُـــولِمُ بَـــيْنَ الغَـــدَا والْفُطُـــورْ
عَلَـــى كُـــلِّ بَـــاعٍ مِـــنَ الـــدَّرْبِ أَمْ بِوَجْـــهٍ كَسَـــيْفٍ وقَلْـــبٍ كَسَـــيرْ
تُنَـــادِي النَّـــدَى مِـــنْ وَرَاءِ البِحَـــارِ ومَـــا مِـــنْ مُجِيـــبٍ ولَا مِـــنْ مُجِيـــرْ
تمـــدُّ الأَنَامِـــلَ للمُحْسِـــنِين وبِالسَّـــاعِدِين تَضُـــمُّ الصَّـــغِيرْ

لقد جاءت المقابلة بين صورتي الغنى والفقر في إطار الغضب والحزن على المجاعة التي حلت بلبنان، وتسببت في وفاة الكثير من سكانها عام 1915م؛ فنرى أن الشاعر استطاع - خلال رسمه لهاتين الصورتين المتضادتين- أن يحاكي الواقع الأليم الذي كان موجودًا في لبنان وقتذاك، وأن يكشف الستار عن هذا الواقع أمام أعين المتلقي؛ في صورة تجعله يشعر بحجم المأساة التي كانت تواجه لبنان في ذلك الوقت؛ مما يستثير مشاعره، ويشركه في الشعور بفظاعة تلك الأزمة التي حلت بهذا البلد.

وقد أبرز التقابل بين الصورتين المتضادتين انقسام أهل لبنان إلى فئتين مختلفتين وقت حدوث تلك المجاعة؛ حيث صور أبناء وطنه الأغنياء الذين يعيشون داخل القصور العالية، ويقومون باحتكار الحبوب والأغذية؛ فامتلأت بطونهم بالطعام والشراب مثلما امتلأت خزائنهم بالأموال من ناحية أخرى، واتصفوا بصفات الجشع والطمع والبخل والشح، وبخلوا على إخوانهم الفقراء؛ فكانت تلك الأبيات التي وردت في المقطع الأول بمثابة تقريع لهؤلاء الأغنياء الذين أصيبوا بداء التبلد في المشاعر تجاه الفقراء الذين يحيون معهم داخل وطن واحد.

وفي مقابل تلك الصورة؛ نجد صورة الفقراء التي جسدها الشاعر في المقطع الثاني؛ هؤلاء الفقراء الذين يصارعون الموت كل ليلة بسبب الجوع الذي تملك من أجسادهم فقضى عليهم؛ حيث يورد مشهدًا يخطف القلوب ويفجر العاطفة؛ هو مشهد الأم التي تجلس على قارعة الطريق وهي تحتضن طفلها الصغير بيد، وتمد يدها الأخرى لتستجدي أكف المحسنين؛ ولكن يدها ترتد مخذولة؛ فلم تجد من يشفق عليها هي وابنها، ويمد لهما يد المساعدة والعون. وقد كانت تلك الأبيات بمثابة محاولة من الشاعر لاستثارة قلوب الأغنياء؛ التي أصبحت أشبه بالصخور الصلبة؛ فربما يجودون على هؤلاء الفقراء بمال

أو طعام يساعدهم على تخطي تلك المحنة التي يتعرضون لها، وربما يكون الإتيان بتلك الصور التي تثير الشفقة والحب داخل قلوبهم؛ أنسب وسيلة لحل تلك الأزمة التي يمر بها بعض أبناء لبنان.

لقد عكست المقابلة الحالة النفسية الحزينة التي سيطرت على الشاعر بعد حدوث تلك الكارثة؛ خاصة بعدما وجد أن البحث عن المصالح الذاتية هو الذي سيطر على فئة الأغنياء داخل وطنه؛ فتركوا الفقراء يموتون كل يوم جوعًا.

كما نلمح ظاهرة المقابلة بين الصور في تلك الأبيات التي يتحدث فيها الشاعر عن صدور الدستور العثماني في عهد السلطان عبد الحميد الثاني عام 1908م، بعدما تعرض للهجوم العنيف من قبل منظمة تركيا الفتاة؛ التي أرغمته على إصدار هذا الدستور من أجل التخلص من حكمه التعسفي؛ حيث يقول: (الخوري، 1961م، قصيدة "تحية الحرية"، ص54).

فَلَكُـــمْ ذَلَّ قَبْـــلَ جِئْـــتَ عَزِيـــزٌ وَلَكُـــمْ عَـــزَّ قَبْـــلَ جِئْـــتَ لِئَـــامُ

وَلَكُـــمْ عَـــاشَ فِـــي الْكَرَامَـــةِ نَـــذْلٌ وَلَكُـــمْ مَـــاتَ فِـــي الْهَـــوَانِ كِـــرَامُ

لقد جاءت الصورتان المتضادتان في سياق إظهار الفرحة والسرور بصدور هذا الدستور؛ فالشاعر - عبر الصور المتقابلة التي وردت في الأبيات السابقة- يوضح أهمية صدور هذا الدستور العثماني؛ الذي يقضي على تحكم السلطان وتعسفه في الحكم؛ فقد استطاع أن يقدم صورة كاملة للمتلقي؛ تحتوي على الألفاظ المتضادة بشكل مكثف؛ ليقارن فيها بين حال الشعوب قبل طرح الدستور وبين حالهم بعد طرحه؛ حيث كان صدوره بمثابة بشرى للشعوب العربية؛ لبداية عهد جديد يمتلئ بالعزة بدلاً من الذل؛ فيعيشوا بكرامة بدلاً من حياة الهوان والعذاب.

وقد كشف الشاعر بواسطة المزج بين الصور المتضادة؛ الوضع السيء الذي كانت عليه الشعوب العربية قبل صدور هذا الدستور؛ حيث كان يحيا اللئيم والنذل حياة العزة والكرامة، في مقابل حياة الذل والهوان التي كان يحياها الكرام.

ومن ثم نرى أن الشاعر قد عبر بواسطة الصور المتضادة عن المشاعر التي تجول داخل النفوس العربية الحالمة بالحرية؛ فقد كانت المقابلة الفنية قادرة على التأثير في المتلقي، وجذبه نحو التجربة الشعرية، كما تمكنت من نقل شعور المواطن العربي عندما بدأت نسمات الحرية تطل على بلاده العربية.

الخاتمة:

تمكن الشاعر رشيد سليم الخوري من التعبير عن قضايا الوطن وعن حنينه إليه؛ بواسطة توظيف ظاهرة مزج المتناقضات داخل قصائده؛ هذا المزج الذي ساعد على تجسيد طائفة من المشاعر النفسية بألفاظ كاشفة عنها؛ مثل: "الغضب"، و"الحنين"، و"الثورة" و"الحب"، و"الفخر"، و"الاعتزاز"، و"الحزن" و"التمني"؛ وبذلك تمكن الشاعر من الإفصاح عن الجوانب المختلفة للتجارب الشعرية التي مر بها؛ في صورة تتميز بمرونة الأداء؛ تلك المرونة التي تتيح للمتلقي حرية التنقل والحركة داخل القصيدة؛ مما يساعد على توسيع مساحة إدراكه؛ بما يستقبل من معانٍ، ورؤى، وأفكار.

وقد كانت قصائده الوطنية زاخرة بهذه الظاهرة بأشكالها المختلفة؛ وهي "التضاد"، و"المقابلة"، و"مقابلة الصور". وقد جاء التضاد بشكليه الإيجابي والسلبي؛ ليجسد رؤية الشاعر في كل الأحداث التي تخص الوطن، ويبرز المكانة الخاصة التي يحتلها هذا الوطن داخل قلبه وعقله.

وقد كانت المقابلة في شعره أداة تعبيرية قادرة على تحسين المعنى الشعري، وتعزيزه، وتقريبه إلى ذهن المتلقي في صورة فنية جمالية، وقد ساعدت على تلاحم العبارة وتماسكها، وعلى إظهار ما يدور داخل الشاعر من شحنات انفعالية مختلفة.

كما أن المقابلة بين الصور عنده جاءت بشكليها الخفي والظاهر؛ فنرى أن الشاعر استطاع خلال عرض الصور المكثفة المتلاحقة أن يرسم المشاهد المتقابلة بطرق عدة؛ ليمثل أبعاد الواقع المرير الذي يحيط بالوطن العربي من عدة زوايا أمام أعين المتلقي؛ عن طريق استحضار الصور المتضادة الملائمة؛ التي تعزز الغاية التي يسعى إليها من وراء توظيف هذه الظاهرة.

وقد أكسبت تلك الأنماط النصوص الشعرية قدرًا من الحيوية والثراء، وكشفت عن قدرة القروي الإبداعية في استثمار المتناقضات، وتوجيهها داخل القصيدة؛ بصورة تعمل على الإفصاح عن المعاني، والمشاعر المتعارضة المتمازجة داخله؛ فكان تعدد هذه المتناقضات وتنوعها بمثابة أسلوب فني اعتمده الشاعر لتشكيل تجاربه الشعرية، ووسيلة فنية كشفت عن انفعالاته وتقلباته النفسية، وتوتره نتيجة مايحدث حوله من أحداث مؤسفة، كما ساعدته على التعبير عن الوطن وآلامه بشكل أكثر تأثيرًا في المتلقي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

1- **القرآن الكريم.**

2- المصادر الشعرية:

الخوري، رشيد سليم، 1381 ه - 1961م، *ديوان القروي* ، ط1، وزارة التربية والتعليم.

3- **المصادر التراثية:**

- القيرواني، ابن رشيق، د.ت، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*، د.ط، ج2، بيروت- لبنان، دار الجيل، ت/ محمد محي الدين عبد الحميد.
- العسكري، أبو هلال ، د.ت، *الصناعتين (الكتابة والشعر)*، ط2 ، القاهرة- مصر، دار الفكر العربي، ت/ علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم.

ثانيًا: المراجع:

1- **المراجع العربية:**

- أنيس، إبراهيم ، 2003م، *في اللهجات العربية*، د.ط، القاهرة – مصر، مكتبة الأنجلو المصرية.
- عبد الغني، أيمن أمين ، د.ت، *الكافي في البلاغة : البيان والبديع والمعاني*، ط1، القاهرة – مصر، دار التوفيقية للتراث.
- البعيني، حسن أمين ، 1993م، *دروز سورية ولبنان في عهد الانتداب الفرنسي 1920-1943*، ط1، المركز العربي للأبحاث والتوثيق.
- البنداري، حسن، 2017م، *تقنيات السرد في الشعر العربي*، ط2، القاهرة- مصر، مكتبة الأنجلو المصرية.
- النجار،حسين فوزي ، د.ت، *وعد بلفور*، ط1، مكتبة فلسطين للنشر.
- خوري، رئيف ، 1986م، *الأدب المسئول*، ط1، بيروت- لبنان، دار الآداب.
- عيسى، صلاح ،1991م، *صك المؤامرة" وعد بلفور"* ، ط1، القاهرة – مصر، دار الفتي العربي.
- علام، عبد العاطي غريب ،1997م، *دراسات في البلاغة العربية*، ط1، بنغازي، منشورات جامعة قازيونس، بنغازي.
- مريدن، عزيزة ، 1966م، *القومية والإنسانية في شعر المهجر الجنوبي*، ط1، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر.
- الشرع، علي ، 1987م، *بنية القصيدة القصيرة في شعر أدونيس*، ط1، دمشق - سوريا، اتحاد الكتاب العرب.
- زايد، علي عشري ، 1423 ه – 2002م ، *عن بناء القصيدة العربية الحديثة*، ط4، القاهرة – مصر، مكتبة ابن سينا.

- الناعوري، عيسى ، 1966م، *أدب المهجر*، ط3، القاهرة- مصر، دار المعارف.
- طنوس، وهيب، 1975م، *الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي*، ط1، سوريا، منشورات جامعة حلب.

2- المراجع المترجمة:

- رامزور، أ. 1690م، *تركية الفتاة وثورة 1908م*، (ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي). بيروت: مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر. (العمل الأصلي نشر في عام 1957).
- أنطنيوس، جورج، 1365 ه - 1946م، *يقظة العرب*، ط1 (تعريب/ علي حيدر الركابي)، دمشق: مطبعة الترقي. (العمل الأصلي نشر في عام 1938).

ثالثًا: المعاجم والقواميس:

1- ابن منظور، د.ت، *لسان العرب*، ط1، بيروت، دار صادر. بيروت، ط1، د.ت.
2- وهبة، مجدي / المهندس، كامل ، 1984م، *معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب*، ط2، بيروت، مكتبة لبنان.

رابعًا: الدوريات:

1- الوتوات، عبدالله أحمد ، يونيو 2015م، *أسلوب المقابلة والتضاد في شعر الرقيات "دراسة تطبيقية"* ، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، العدد الثالث.
2- رمضان، عمار خالد ، 2014م، *الانقسام الوطني اللبناني في عهد الانتداب الفرنسي (1920-1943)، دراسات تاريخية*، العدد السادس عشر.
3- أبو غالي، مختار ، 1415هـ/1995م، *الشعر ولغة التضاد "الرؤية، الميدان، والتطبيق"* ، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الخامسة عشر.

The Mixing of Contradictions in the Nationalistic Poem by Rashid Selim El- Khoury

Haidy Gamal Mohamed Mahmoud El sherbiny
PHD Degree –Department of Arabic Language
Faculty of Women for Arts, Science & Edu-Ain Shams University - Egypt
haidyhaidy003@gmail.com

Prof.Hassan Ahmed El- Bendary
Professor of Rhetoric and Literary Criticism,Department of Arabic Language
Faculty of Women for Arts, Science & Edu
Ain Shams University - Egypt
dr_hassan5@yahoo.com

Dr.Zeinab Abdel Kerim
Lecturer of Rhetoric and Literary Criticism,Department of Arabic Language
Faculty of Women for Arts, Science & Edu
Ain Shams University - Egypt
Zeinabgado@yahoo.com

Abstract

The research aims to study the phenomenon of " mixing contradictions" in Rashid Selim El-Khoury ' s poetry, where he wrote about his homeland and its issues. His poems contained two main dimensions that reflected a distinct nationalistic orientation; these are: the poetry of nationalism and patriotism on the one hand as well as nostalgic poetry. In his poems, El-Khoury highlights what the Arab world has been exposed to of colonization, wars, and conspiracies organized by the West. The poet mixes contradictory ideas, structures, and poetic imagery to vent his feelings of sorrow and to give a vivid portrayal of what goes on inside him of different and overlapping feelings over the bad conditions of his beloved homeland. Thus, he uncovers to the reader his inner conflict and the tormenting state of psychological dispersion he is afflicted with. Therefore, the"mixing of contradictions" is a rhetorical means that enables the poet to add a unique qualitative touch that distinguishes his poetic output, shows his artistic expertise, and adds beauty and vitality to his poetic text. The research explores three aspects of this phenomenon that were employed by the poet to address issues related to his homeland and his feelings towards it. These are: The first aspect: contrast ,The second aspect: juxtaposition, The third aspect: juxtaposition of poetic imagery.

Keywords: the phenomenon of mixing of contradictions- the homeland- Rashid Selim El- Khoury.